رواية

المجد للساحرات

حلمي مطر

دار ن للنشر والتوزيع



-١-

الإسكندرية

٢١ ديسمبر، عام ١٩٢١

تمشيان بخطوات ثابتة وواثقة نحو مصير مُظلم، لم تشعر كلتاهما بالخوف لحظة واحدة مما هو آتٍ، جميع الموجودين في الممر المؤدي لغرفة الإعدام يحملقون فيهما بتساؤل رهيب: هل هما فعلًا من نساء البشر؟ أم إنهما من نسل الشياطين؟ أما عمن كانوا موجودين في غرفة الإعدام من عناصر الشرطة ومحافظ مدينة الإسكندرية، فكانوا يترقبون دخولهما إلى غرفة الإعدام في خوف مُفزع رغم أن كُل الحاضرين كانوا على درجة كافية من السُلطة والقوة والتدين.

علت الابتسامات وجهيّ صاحبتيها، لم تحول ملابس الإعدام حمراء اللون بينهما وبين سعادتهما على الإطلاق. كعروسين من بنات الجن في انتظار موعد الزفاف على شيطانين من الجحيم. كانت تلك هي أول مرة في التاريخ سينفذ فيها حُكم الإعدام في النساء، وقد وافقت المحكمة على مطلب القاتلتين بأن يُنفذ فيهما حكم الإعدام معًا، في وقتٍ واحدٍ وغرفة واحدة.

تقدمت الأختان لتنفيذ الحُكم، وقفت كُل منهما على «طبلية» مجاورة للأخرى، وتكفل «عشماوي» بمساعدة معاونه بتكبيل كلتيهما بأصفاد منقوش عليها كلمات غريبة في الساقين واليدين، ثم وَضَعَا حبال المشانق حول رقبة كل منهما، ووقف الرجلان بجانب كلتيهما استعدادًا لقبض أرواح ابنتيّ إبليس. نظر محافظ الإسكندرية لـ«ريا» قائلًا: «هل لديكِ أية أمنيّة أخيرة؟»، فرفعت وجهها ونظرت له نظرة حادة تقتل الجنين في رحم أمه، وأجابت: «أتمنى من الشيطان أن يرسلك إليّ في أعماق الجحيم كجائزة عن كوني امرأة مطيعة لأوامره!». حاول الرجل أن يُظهر علامات الثبات، ثم نظر لـ«سكينة» التي كانت تنظُرُ للأسفل وتنتحب على مصيرها البائس، وقال: «ماذا عنكِ، هل لديكِ أية أمنيّة أخيرة؟»، فتوقفت عن البكاء، وأجابت بمنتهى الشر والحقد: «تمنَ أنت أن تبقى على قيد الحياة قدر المُستطاع، لأنني سأحصد روحك القذرة وقت مفارقتها لجسدك»، وضحكت ضحكة من قلبٍ أسود يملأه الشر والخُبث.

وضع عشماوي ومعاونه القناعين الأسودين على وجهيّ كلتيهما بحذرٍ شديد، ثم تقدم المُفتي وقال لهما بشفاه مُرتعشة: «ردّدا الشهادة»، فلم تجب أيٌّ منهما. علت نبرة صوته أكثر في تحدٍ وقال: «قلت لكما رددا الشهادة، عسى أن يغفر الله لكما ما اقترفتماه!»، استمر الصمت لمدة ثوانٍ ولم

تجب أيٌّ منهما، قال الشيخ: «أستغفر الله العظيم من كُل ذنبٍ عظيم»، وأشار لعشماوي بشد «فرملة» البئر.

وسقط الجسدان في آبار المشانق، علا منهما صوت الخوار الرهيب لامتناع الأكسجين، ارتعش الجسدان في هيستيريا نتيجة لحالة الاختناق الناتجة عن ضغط الحبال الغليظة على رقبتيهما، حتى سكت كُل شيء. نظر محافظ الإسكندرية لعناصر الشرطة تارة، ثم للمفتي تارةً أخرى غير مصدق أن الكابوس قد انتهى، حتى بدأتْ رائحة كريهة جدًا في الانبعاث من الجثتين، فشعر كُل الحاضرين بالاختناق الشديد، واشتعل الجسدان فجأة، امتدت النيران من السيقان للرأسين في جسديّ ابنتيّ إبليس.

شرع المفتي في ترديد: «أعوذ بالله من غضب الله، أعوذ بالله من غضب الله»، وهو يضع يديه على رأسه، صرخ محافظ الإسكندرية في أحد عناصر الأمن ليحضر المياه ويطفئ جسديهما سريعًا، فركض الرجل للباب ليفاجئ به وهو يُغلق من تلقاء نفسه. «أعوذ بالله، ما هذا يا سيدي؟»، قالها وهو يحاول أن يفتحه، ولكن هيهات، ظلوا جميعًا يصرخون من شدة الحرارة إلى أن انتشرت النيران في كُل الغرفة، وبدأوا جميعًا في الاحتراق أحياء وهم يصرخون طلبًا للمساعدة، بينما علت جُثتا الشيطانتين بالضحكات

وهما متدليتان من المشانق، ثم صرختا بجملة واحدة: «من أجلك يا ملك العالم السُفلي.. بالحُب والشرف نحمِلُ مشاعلك، لتضيء نيرانهم الظلام الأبدي».

***

الإسكندرية ٢٠٠٨

يمشي مترنحًا كمن تصارع روحه جسده للخروج، يرتشف آخر قطرات زجاجة الخمر الرديئة وهو يغني كلمات من أغنية للسيدة أم كلثوم بصوتٍ أكثر رداءة، إلى أن قررت معدته أن تثور عليه وعلى خمرِه الرديئة فوضع يده ليستند إلى الجدار المحيط بالمقابر ثم نظر للأسفل ليتقيأ كل ما كان يسبح في فلك معدته دون أدنى انسجام.

وبعد أن انتهى وأخرج منديله القماشيّ من جيبه ومسح فمه، انتبه إلى صوت خطواتٍ قادمة على يساره، فالتفت ليجد ولدًا صغيرًا بريءَ الملامح، يحمل على وجهه علامات بؤسٍ لم تستطع ظُلمة الليل أن تخفيها رغم ضعف الإضاءة، كان الولد يتحرك يمينًا ويسارًا تحركًا غريبًا، ليس من فرط الحركة، بل من مفعول الخمر التي سيطرت على عقل السكير وعلى مشاعره، فأخرج آخر سيجارة من علبته محلية الصُنع، وابتعد عن الطفل غير مبالٍ به، فقال له الصغير «عمّي، أرجوك أعطني جنيهًا لآكُل»

أخذ ينفث دخان السيجارة التي كان يمسك بها بيد مرتعشة وهو يردد المقطع نفسه من الأغنية، بينما الولد الصغير يمشي بجانبه وهو يتوسل إليه ليعطيه الجنيه، ظل الولد يُلح في طلبه مما استفز السكير وأشعره بالضيق فأسرع في خطواته محاولًا الابتعاد عن الطفل المزعج وهو يفكر في كيفية الاحتفاظ بمِزاجه المُعتدل، بعد أن تجرع زجاجة الخمر بأكملها. فُوجئ بتوقف صوت خطوات الطفل الصغير مما أثار فضوله، عندها سمع صوتًا أشبه بفرقعة مفاصل العظام، مصحوبة بصوت الطفل وقد صار أكثر غلظة وهو يقول: «ألـم أقُلْ لـك أعطـني جُنيـهًا؟»، فالتفت السكير بسُرعة كبيرة في مخيلته فقط، ليرى الولد ينمو أمامه شيئًا فشيئًا حتى أوشك على ملامسة المصباح المُعلق في عمود الإنارة.

هل هي الخمر؟ بالتأكيد هي الخمر الرديئة التي اشتراها بعشرين جنيهًا من تلك الحانة القذرة، فأخذ يسبُّ صاحب الحانة وهو يضحك في هيستيريا بينما يضرب ركبتيه بكفيه، ثم رفع رأسه ليتأمل ذلك الوجه الممطوط والعينين الواسعتين اللامعتين، بينما كان ذلك المخلوق ينظرُ إليه في صمت مُرعب. حينها، توقفت الضحكات، وبدأ مفعول الخمر الرديئة في الانسحاب من عقله وجسده، وقفزت في رأسه

تلك الحقيقة المُرعبة عن وجوده في الشارع الموازي «لمقابر العامود» في الثانية بعد منتصف الليل، ثم تذكر تحذيرات أحد أصدقائه السكارى له عن التواجد في تلك المنطقة في وقت متأخر كيلا يظهر له أحد الشياطين الذين يوقعونَ بالمارة تعساء الحظ.

«لماذا لمْ أعطه الجنيه؟»، سأل نفسه وهو يرجع بضع خطوات إلى الخلف بينما كانت عيناه معلقتين على الكائن الذي اكتملت هيئته الكاملة أمامه؛ ذراعان على وشك أن يلامسا الأرض، وجه ممطوط قبيح، أصابع طويلة مدببة لم يدرِ السكير هل هي بسبب أظافره؟ أم هي طبيعة أصابعه؟ لم يستطع أن يلتفت ليركض بشكل طبيعيّ خشية أن يهاجمه الكائن غدرًا، فمن الأفضل أن تبقى عيناه على عدوه كيلا يغدُر به من الخلف. ولكنه الخوف، ذلك الشعور القذر بانعدام السيطرة على القرارات والمشاعر هو ما أدى إلى جعله يلتفت ويركض مُسرّعا، غير مبالٍ للنتائج المترتبة على هذا القرار. ركض بشكل مُتعرج، ظل يلهث من مجهود ليس بالكبير على شخص في كامل ثباته الانفعاليّ وإدراكه للأمور. تبًا للخمر الرديئة... وتبًا للسّاقي معدوم الضمير.

وفي السادسة صباحًا، اجتمع حشدٌ كبير من قاطني المنطقة، ملتفين حول جثة غير معروف صاحبها. هناك من

فقد وعيه من هول المشهد، وهناك من خانته معدته فتقيأ كُل ما بها، فليس من المُعتاد مشاهدة النصف الأسفل لجسد رجُل، مُمددًا على الأرض وسط بحر من الدماء. إلا فتاة واحدة من بين الفتيات اللائي فقدن الوعي. كانت ترتدي عباءة سوداء مزينة بأشكال هندسية ذهبية لامعة، تضع قلنسوة العباءة على رأسها لتحجب ملامحها كنوع من أنواع التخفي البسيط. كانت تنظر باهتمامٍ شديدٍ لبقايا الجسد، وتتفحصه بتركيز غريب كمن تحاول الوصول إلى شيءٍ ما.

ومع انشغال الجموع بما يحدُث، وقدوم عناصر الشرطة وسيارة الإسعاف، تخطت الفتاة مكان الحادث وظلت تمشي جوار الجدار الفاصل بين الشارع والمدافن، وضعت يدها عليه لتحسسه بينما تخطو بخطوات ثابتة نحو شيءٍ ما، ركلت بقدمها علبة سجائر محلية الصُنع فارغة ملقاة على الأرض، ثم توقفت تمامًا حين رأت آثار قدميّ طفل صغير مطبوعة بشكل واضح على الأرض الترابية، فأخرجت سُرّة صغيرة جلدية بنيّة اللون، مرسوم عليها أشكال غريبة، وسكبت منها شيئًا أشبه بالملح أو السكر على آثار القدمين.

فحدث فوران صغير يشبه فوران القطران الساخن، أدّى إلى صبغ آثار القدمين بلون أسود ينبعث منه رائحة كريهة، ففزعت الفتاة وقفزت خطوة إلى الخلف، ثم تنفست قليلًا

وتوجهت على الفور لأحد الأزقة المسدودة نهايته. وبعد أن تأكدت تمامًا ألن لا أحد يلاحقها، أنزلت القلنسوة عن رأسها كاشفةً عن شعر أسود كما الليل، ورفعت ذراعيها وتمتمت قائلة: «فيثاروستا-إيريالوكاس»، فدارت من حولها ذرات الغُبار بشكل سريع مكونةً لإعصار ابتلع جسدها بالكامل، وانقشع فجأة لتختفي الفتاة على الفور.

***

-٢-

كان القمر مكتملًا في تلك الليلة، والبحر ترتطم أمواجه بالصخور كحبيبٍ قد عاد مشتاقًا إلى حبيبته فتبادلا الأحضان بعنف شديد. قطرات المطر تتساقط على سطح قلعة «قايتباي»، وأيضًا على قلنسوة سيدة عجوز كانت ترتدي عباءة سوداء منقوش عليها نجوم تضوي بلون فضي لامع. كشفت السّيدة العجوز عن معصميها ليظهر وشمان، الأول على يدها اليسرى التي وُشم برسغها برسمة هلال، بينما اليد اليمنى كان رسغها موشومًا برسمة قمر مكتمل، أخذت تتحدث مع الفراغ وهي تنظر إلى السّماء المُظلمة المُرصعة بالنجوم اللاّمعة، ثم رفعت ذراعيها بشكل متوازٍ وتنفست الصعداء استعدادًا لشيءٍ ما.

ظلت تحرك يديها بحركات غير مفهومة وهي مغمضة العينين، ترسم أشكالًا بأصابعها في اللاشيء، ثم نظرت أخيرًا للقمر المُكتمل المتوسط مجموعة النجوم وفتحت عينيها لتجد أن القمر قد تحول للون الأحمر الدمويّ، فأجفلت السّيدة العجوز في فزعٍ وظلت تتلفت يمينًا ويسارًا حتى سمعت صوت رياح قوية آتية من ورائها، فنظرت لتجد الفتاة ذات العباءة السوداء بالنقوش الذهبية وقد ظهرت فجأة.

اقتربت منها السّيدة العجوز وسألتها في توتر: «ماذا حدث؟

ماذا وجدتِ هناك؟»، تنهدت الفتاة الشابة وقالت: «آثار أقدام لشيطان البــولجار، التهم النّصف الأعلى لرجل بائس، من أين لهذا الكائن أن يظهر في تلك الأيام؟»، توترت السّيدة العجوز وهي تنظر إلى القمر الدمويّ، ثم نظرت إلى الفتاة وقالت: «لا أعلم يا زيرا، يبدو أن الأيام المُظلمة قد عادت من جديد، وسيحل الخراب على المدينة، ثم العالم أجمع في القريب العاجل»، وأشارت بيدها لثُري زيرا القمر الدمويّ المُكتمل، شهقت زيرا في فزع ثم قالت: «هل عادوا من جديد، سيدتي إربيا؟»، «لا أعتقد يا زيرا، ولكن من الواضح أن إحدى البوابات الشيطانية قد فُتِحَت إثر فعلتهم الشنيعة قديمًا ... يجب علينا أن نفعل شيئًا ما، يجب أن نجمع بقية الأخوات لنفكر في الخطوة القادمة»، أجابتها إربيا وهي تفرك راحتيّ يديها في توتر.

شردت إربيا وهي تتذكر معارك قديمة بين الشياطين والساحرات، كلفتهن العديد من الأرواح الطاهرة. ثم قفزت بذكرياتها لوالدتها هاتوري، التي ساهمت بشكل خفيّ في تسليم الأختين للعدالة، ثم احتراقها بنيران الجحيم معهما في أثناء عملية الإعدام، هاجمها ذلك الخوف المفاجئ من نبوءة قديمة، تحاكى عنها الكثير من الساحرات المخضرمين، عن تلك الطقوس الشيطانية التي ستجعل الشيطان يمتلك من الشر والقوة ما يجعله لا رادع له.

«سيدتي، يا سيدتي إربيا...ماذا بكِ؟»، سألت زيرا وهي تربت بيدها على كتف إربيا، التي كانت غارقة في بحر من المخاوف والذكريات، فأجابتها: «نعم يا زيرا. ماذا كنتِ تقولين؟»، «أخبريني بما عليّ أن أفعله، وسأطيع فورًا، سيدتي»، قالتها زيرا وهي تومئ برأسها في احترام، فتقدمت إربيا من حافة سور القلعة، وألقت نظرة على المياه الداكن لونها في ظلمة الليل، ثم قالت: «سأستدعي سيد الأعماق يا زيرا لأفهم منه ما يحدث، سأستدعيه من مبنى الفنار»، ثم مدت يدها لتمسك بيد زيرا، وأومأت برأسها لها، فأغمضت زيرا عينيها ثم قالت: "فيثاروستا-إيريالوكاس»، فالتفت من حولهما ذلك الإعصار الصغير مرةً أخرى، ودارَ بسرعة رهيبة، لينقشع أخيرًا مصطحبًا معه العرافة الكُبرى والفتاة.

***

أيها العظيم ليفياثان

يا من تسكُن الأعماق وحدك

أستدعيك بحق هيكاتي، أم الساحرات

إلهة القمر، والسحر الشعوذة

من تحمل الضياء وحدها، من تُخضع الظلام وحدها

وعلى فنار الإسكندرية القديم، وقفت العرافة الكُبرى إربيا بصحبة الساحرة الشابة زيرا، وقالت تلك الكلمات، رافعةً يديها في الهواء وهي تنظر للمياه. ظلت تُكرر تلك الكلمات مرة تلو الأخرى، بدأ جسدها في الارتعاش وبدا على صوتها الإرهاق، فبرغم أنها ساحرة مخضرمة لكن تقدمها في السن ورؤيتها للكثير من الشرور في العوالم والأبعاد المُختلفة قد أثرا فيها سلبًا، فعرضت زيرا المساعدة قائلةً: «سيدتي، دعيني أقم بها بدلًا عنكِ، فقط علّميني تلك الشعيرة وسأفعلها»، فهزت إربيا رأسها نفيًا وأجابتها: «يجب على أحد في مثل منصبي أن يقوم بعملية استدعاء كيان له هيبته وقوته من العهد القديم كـ ليفياثان، فإما أن يظهر لكِ، أو سيبتلعكِ حية...مهما حدث، ابقي خلفي وأنتِ راكعة، ولا تنظري إليه مباشرةً...مهما حدث»

قاطعهما صوت المياه التي بدأت تهدرُ بصوت عالٍ، مكونةٍ دوّامةً كبيرة جدًا، وبدأ في الظهور من داخل أعماقها رأس ضخمة ممتلئة بالحراشيف، وجه يشبه التمساح مع قصر طول الخطم، عينان زرقاوان مضيئة بلون وهاج. ألقت زيرا -التي كانت ترتجف من عظمة ورعب المشهد- نظرة خاطفة خلف رأس الكائن ليفياثان لترى ما يتحرك أسفل المياه على بعد كيلومترات من رأسه، لتكتشف أنه ذيله هو ما يتحرك كاشفًا عن مدى طول ذلك الكائن العملاق وحجمه.

ركعت إربيا على ركبتيها وهي تنظُر للأسفل في خجل واحترام، ثم سحبت زيرا المرتعدة من طرف عباءتها لتركع هي الأخرى، ثم بدأ الكائن في الحديث بصوت لم يسمعه بشر من قبل قائلًا: «من الذي تجرأ على إيقاظنا من ثُباتنا؟ ها؟ ... ساحرتان غبيتان، لا أدري كم مر من الوقت مُنذُ آخر مرة رأيت فيها تلك العباءات القذرة»، ثم تنفس بعصبية وبسرعة وأكمل في غضب: «من منكما قد استدعتني!»، فقالت إربيا بصوت مرتعش لا يدل أبدًا على مكانتها المرموقة وسط مجتمع الساحرات: «أنا الساحرة إربيا، ابنة العرافة الكُبرى هاتوري. جئتُ طالبةً النصح من سيدي ملك الأعماق المُظلمة، من تحاكى عن قوته السائرون على الأرض والمعذبون في الجحيم».

نظر لها الكائن في صمت لثواني قليلة ثم قال: «جئتِ تطلبين النصح بشأن الأختين وتحالفهما مع ملك العالم السفلي، أليس كذلك؟»، رفعت إربيا ذراعيها وطابقت كفيها فوق بعضهما البعض احترامًا للكائن المُرعب ثم أجابت: «سيدي ليفياثان، لقد تعدى الأمر كونه امرأتين تعلمتا أصول السِحر الأسود القديمة ثم ماتا عقابًا لهما، اتفاقيتهما مع سيد الظلام ستدمر العالم وتنهي التوازن، قُل لي ماذا أفعل، أرجوك؟»، نظر لها الكائن نظرة مطولة، ثم أجابها

«الحل يكمنُ في حفيدة هيكيتا، من تحمل مشاعل الضياء بداخلها، وتحوي الشر الجحيميّ أيضًا بداخلها»، ابتلعت إربيا ريقها في توتر، ثم سألته: «وما دخل هيكاتي بالموضوع يا سيدي؟» فأجابها ليفياثان بنفاد صبر: «أقرأ ما يجول ببالكِ يا إربيا، فلا تدعي عدم الفهم وإلا أقسم بالبحار السبعة أن أحرقكِ حية!»، فرفعت إربيا يديها في الهواء، وقالت: «العفو والسماح سيدي، أنا فقط غير مصدقة لما يحدُث»، فقال لها ليفياثان «بل صدقي، الشيطان يريد أن يحكم ... ولم يتقبل فكرة أنه قد خسر معركته الأولى، ثم أن الفرصة لم تضعْ منه، قربان السبعة عشر قد تم بالفعل، فلا هرب من المصير المحتوم فور عثوره على حفيدة هيكاتي.»

تنهدت إربيا ثمّ سألته: «والحل يا ذا الزعنفة العظيمة؟»، قال لها وهو يتحرك في المياه حركة تدل على استعداده للغوص مرة أخرى: «فلتجدي حفيدة هيكاتي قبل أن يعثر عليها ملك الظلام، فإن استحوذ على قواها ... فلا رادع له بعد الآن، وعالم البشر سيفنى»، ثم غاص الكائن مرة أخرى في المياه برأسه الضخم، مسببًا فوران رهيب أدى لغمر الفنار وملابس السيدتين بمياه البحر.

قالت زيرا إربيا في توتر وهي تنظُرُ حولها: «ما أخافني أكثر من هذا الكائن المهيب، هو أن يرانا أحد الأهالي ونحن

نتحدث معه»، نظرت لها إربيا وهي تنفض المياه عن جسدها وقالت: «لو كُنتِ تستذكرين دروسكِ جيّدًا، لعرفتِ أنني قد قُلت من قبل إن أي استعداء لوحوش أو شياطين من الساحرات سيكون في سرية تامة، وفي بُعد آخر تمامًا لا يراه سوى الشخص الذي قام بعملية استحضاره ومن معه»، قالت لها زيرا ببراءة وانبهار كما الأطفال: «تقصدين أننا ....»، قاطعتها إربيا: «نعم، لم يرَ أيٌّ شخص ما حدث على الإطلاق، الفنار خالٍ تمامًا من أي ساحرات، ولم يخرج من المياه أي وحوش»، ثم أمسكت بيد تلميذتها التي كانت متخصصة في الانتقال الكمي كواحدة من أمهر ساحرات الرياح، ثم قالت زيرا تعويذتها: «فيثاروستا-إيريالوكاس»

***

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين وقفت الساحرة الشابة لوتارا أمام بوابة المنزل الملعون، تتأمل البناء المكون من طابقين في حذرٍ ورُعب، يكاد قلبها أن يعلن عن اعتزاله التام متوقفًا عن ضخ الدم لباقي جسدها، فبغض النظر عن كون عشيرة الساحرات من أقوى العشائر الموجودة في عالمهن، لكن التاريخ الأسود للأختين قد أصاب قلوب العامة والساحرات بالرعب على مدار السنين، حتى بعد موتهما.

وقفت تتأمل الحجارة التي أصابها العفن، حشرات تهربُ يمينًا ويسارًا، أما عن العناكب فحدث ولا حرج، وضعت لوتارا يدها على الجدار المقابل لها، ثم أغمضت عينيها وتنفست لتهدأ وتستعيد تركيزها، لتستبصر أي شيء يفيد العشيرة من معلومات عن سر اللعنة التي عادت من جديد في أسوأ أشكالها. ثم شهقت شهقة عالية حين وجدت نفسها أمام المنزل، ولكن في زمان مختلفٍ، تقف وسط الأهالي الذين كانوا يصرخون في فزع وهم يحاولون الهروب بعيدًا عن المنزل، ولكن تلك الأيادي الطويلة الثعبانية التي كانت تخرج من كُل جدران المنزل وتمسك بهم كان من الصعب الهروب منها. قلب لوتارا ينبض في فزع وهي ترى تلك الأيادي تمسك بهؤلاء البؤساء وتسحبها داخل المنزل كمصيدة الحشرات، أخذت تتمتم: «لعنة حماية، إنها لعنة حماية شيطانية»، حين فاجأتها تلك اليد التي أمسكت بها مكبلةً إياها، لتصرخ الفتاة من شدة الألم.

استيقظت الفتاة من ذلك الكابوس المفزع أخيرًا وهي ترتعش، قدماها تتخبطان ببعضهما البعض إثر ذلك القُرب الجحيميّ من تلك الأحداث التي عاشتها في رؤيتها. وحين التفتت لتغادر، سمعت صوت جدران المنزل وهي تهتز بعنفٍ فنظرت خلفها لتجد تلك الأذرُع تخرُج من أسفل المنزل، عشرات الأذرُع السوداء الشيطانية تزحف تجاهها لتمسك

بها، قفزت الفتاة في الهواء لتبتعد عنها، ثم أخرجت قطعة من سُرة قماشية بيضاء اللون، وسكبت منها مسحوقًا أبيض لترسم به على الأرض نجمة خماسية كبيرة، ثم وقفت في منتصفها تمامًا وهي تنظُر للأذرع الشيطانية في تحدٍ ممزوج بالخوف.

ثوانٍ قليلة قبل أن تومض النجمة الخماسية بضوء فضيّ مكونة حاجزًا شفّافًا حول جسد الفتاة ذات القدرات العجيبة. اقتربت منها الأذرع بسرعة لترتطم بذلك الحاجز ذراعًا تلو الآخر، ثم عادت جميعًا للاختفاء أسفل المنزل المشؤوم. تنهدت الفتاه في ارتياح ثم همّت بالمشي بعيدًا عن المنزل، ففوجئت بصوت شيء يخرج من تحت قدميها، فنظرت لتجد يدين غليظتين ممتلئتين بالشعر يخرج منهما أظافر حادة سوداء أمسكتا بها من قدميها حيث كانت تقف في منتصف نجمة الحماية الخماسية. حاولت الفتاة أن تحرر نفسها، ولكن هيهات، ثم اشتعلت اليدان بينما كانتا تضغطان على قدميّ الفتاة المسكينة، ثم بدأت في سحبها للأسفل، حاولت بكُل قوة أن تنقذ نفسها وهي تتمتم ببعض التعاويذ، ولكن بلا فائدة.

ظلت تصرُخ المسكينة بينما يشق جسدها طريقه أسفل الأرض الترابية حتى وصلت لمنتصف صدرها تمامًا، ثم

أطلقت الصرخة الأخيرة، مناديةً بصوت يدمي الآذان: «إربـــيا!»

***

«لوتارا، إنّها تُعذب في أعماق الجحيم الآن!»، قالت إربيا تلك الكلمات بصوت مرتعش بعد أن شهقت شهقة مفزعة إثر تلك الرؤية التي شاهدتها توًّا، فوضعت زيرا يدها على كتف الساحرة الكبرى لتهدئتها

ونظرت لها إربيا وقالت: «يجب أن نجد تلك الفتاة من نسل أم الساحرات هيكاتي، وفي أقرب وقت»

***

-٣-

كل ما كان يفكر به هو الوصول للمنزل بعد يوم طويل من القيادة في كُلِّ أنحاء الإسكندرية، زبائن متكبرون يبخسون حقه، ازدحام مروريّ رهيب يمضي العُمرُ معه بينما ينتظر في السيارة على أمل أن تُفتح الإشارة، ولكنه ها هو يقود سيارته عائدًا لمنزله يمني نفسه بالوجبة الساخنة التي أعدتها له زوجته. دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو يعبر «كوبري التاريخ» الممتد عمره للمائة عام بمنطقة «الورديان» العزيزة على قلبه، ولكن إطار السيارة قد أعلن استسلامه فجأة، وانفجر بينما كان العجوز يعبر الكوبري.

ضغط على الفرامل ببطء وأوقف السيارة على يمين الكوبري، وهو يسب ويلعن حظه السيئ، فما من شخص سيغيثه في ذلك الوقت، فالكل في بيوتهم محميين من ذلك البرد القارس. ترجل من السيارة وأضاء كشاف هاتفه المحمول ليضيء له ذلك الظلام الدامس الذي حاولت مصابيح السيارة أن تكافحهُ قليلًا، «ألم يحن الوقت لإصلاح عمدان الإنارة اللعينة تلك؟»، قالها لنفسه وهو ينظر للأعلى يمينًا ويسارًا، ثم توجه لصندوق السيارة، وأخرج الإطار الاحتياطيّ وأداةً فك وربط الإطارات «الكوريك»، وأغلق الصندوق ليفاجئ بصوت أنثويّ قادم من أمام مقدمة

السيارة مخاطبًا إياه قائلًا: «أنا تائهة يا عم، هل لك أن تقلني لمنزلي أرجوك؟»، كانت تقف أمام مقدمة السيارة، المصابيح كشفت عن فتاة تحمل من الجمال الكثير، تنظُرُ له بابتسامة ودودٍ يملأها الأمل بقبول طلبها، ولكن كيف لتلك العروس أن تكُون هنا في تلك اللحظة دون أي شخص من أقربائها، علاقة فاشلة تمامًا بين الوقت والأجواء وبين وجودها.

سألها الرجل العجوز: «لماذا أنتِ هنا يا بنيتي؟»، فأجابته: «لا يهم يا عم، هل ستقلني لمنزلي أم لا؟»، لحظة صمت مُرعبة اقتحمت الحديث بين الرجُل وتلك الفتاة وهو يوجه الكشاف على وجهها المبتسم، انتصبت شعيرات جسده وهو ينظُرُ لها، علت دقات قلبه وبدأ الخوف في السيطرة عليه شيئًا فشيئًا، ثم رجع عدة خطوات للخلف وهو يصب كُل تركيزه على وجهها المبتسم، الذي تحول فجأة للعبوس، وبدأت في الابتعاد عن مقدمة السيارة وسارت تجاهه. «لا تؤذيني، ولا أؤذيكِ، دعيني أمر في سلام»، قالها وهو يرتجف، فكررت السؤال نفسه، ولكن تلك المرة بصوت مزدوج، خليط بين صوت وحش كاسر وصوتها الأنثويّ التّاعم: «هل.. ستقلني...لمنزلي...أم.. لا؟»

«أنا من سأقلك إلى حفرتك القذرة في الجحيم أيتها العاهرة القبيحة»، التفت الرجُل العجوز في هلع ليتعرف قائل

تلك الكلمات، فرأى ثاني أغرب مشهد قد يراه في حياته، فتاه يتطاير شعرها الأسود المختلط بالكثير من الخصلات الحمراء من حول رأسها، عينان باللون الأبيض تمامًا، فصرخ الشيء الذي كان يرتدي الفستان الأبيض وهو يرتفع في الهواء كالطائرة العمودية بصرخة مرعبة، فقالت الفتاة الغريبة بصوت قوي وهي ترفع يديها لأعلى كمن تستجمع قوتها:

يا روح النار، أناديكِ فلبي...

أمديني بالضياء لأتغلب على الظلام ومن يتبعه

أمديني بالدفء لأتغلب على سقيع الخوف والفزع

أمديني بالقوة لأنحر عنق الشيطان وأعوانه

باركيني، يا روح النار

فور انتهاء الفتاة من تلك الكلمات اشتعلت يداها كشعلتين من اللهب، فصفقت بهما ليشتعلا بشكل أقوى وأعظم، ثم قالت للرجل العجوز بحدة: «تعال وقف خلفي، بسرعة». أما العروس المرعبة فارتفع جسدها عن الأرض مسافة العشرة أمتار في الهواء، وتبدلت ملامحها إلى كائن مشوه، ملامحه ذائبة بالكامل، بشرته خضراء متقيحة، ثم بدأت في الاقتراب من الرجُل العجوز والفتاة بسرعة خارقة.

وجهت الفتاة يديها المشتعلتين تجاه تلك الشيطانة فانطلقت النيران منهما كقاذف للهب، وتحولت النيران لقيود مشتعلة كبّلت جسدها المشوه فصرخت من شدة الألم، ثم أشارت الفتاة المُنقذة بيديها للأسفل بقوة، بطريقة تدل على تحكمها الكامل في تلك القيود، فاندفعت الشيطانة بأقصى سرعة، لتخترق أرضية الكوبري، وتسقط وسط النباتات النامية أسفله لتشق طريقها لأعماق الأرض. اقتربت الفتاة من الحفرة المشتعلة ونظرت من خلالها، بينما اقترب منها الرجل العجوز وسألها في خوف رهيب: «من كانت؟ وأين ذهبت؟»، فنظرت له بينما يتراقص اللهب المحيط بالحفرة كاشفًا عن وجهها الجميل والقوية ملامحه أيضًا، ثم قالت: «لا يهم، إن كُنت تريد أن تبقى على قيد الحياة فعليك أن تبتعد تمامًا عن أي مكان مُظلم، اتبع النور فقط ... فهم من سكان الظلام، وتزداد قوتهم به»، ثم ابتعدت عنه تاركةً إياه في صدمة من هول ما رآه، فسألها «من أنتِ يا ابنتي؟» فنظرت إليه ولم تجبه، ثم خرج من خلفها ضباب أسود غلف جسدها بالكامل، وانقشع الاثنان معًا.

***

فتح الحرس الباب العملاق المزين بنقوش أقدم من الحياة نفسها، لآخر الزائرات التي دخلت قاعة كبيرة تمتلئ جدرانها

برسومات تحكي عن ملاحم مدونة ومؤرخة لصراعات وحروب بين نساء ترتدي عباءات سوداء وبين وحوش ومسوخ غريبة الشكل، رسومات أخرى لسيدات قبيحات الملامح تحترق على أوتاد مشتعلة، كائنات مشوهة بأجنحة كما الوطاويط تطير يمينًا ويسارًا حاملة أطفالًا رُضع في محاولة لسرقتهم بينما تتصدى لهم مجموعة من الساحرات الخيّرات. وفي الجدار المقابل لبوابة القاعة، رُسمت صورة ضخمة بحجم الجدار لسيدة تحمل على وجهها ملامح الحكمة والقوة، يداها مبسوطتان أمامها بشعلتين من اللهب الأبيض والأسود.

وفي المَنتصف كان هناك منضدة أثرية كبيرة، كانت تجلس رئيسة المجلس إربيا على رأسها، بينما يلتف حول المنضدة عشرون مقعدًا من الطراز العتيق، يجلس على ستة منهم جهة اليمين واليسار بالقرب من إربيا ست ساحرات من المساعدات والمستشارات، أما بقية المقاعد فكانت مشغولة بصغار الساحرات والمتدربات المتفاوتات في القوة الخبرة. وقفت إربيا بعد أن صفقت بيدها مرة واحدة منوهةً عن بدء الحديث، ثم قالت:

- حدث ما كنا نخشاه يا أخواتي، فالقمر كما ترون –وأشارت بيدها للنافذة الزجاجية الضخمة التي تألق من

خلفها القمر المكتمل ذو اللون الأحمر القاني- يعلن عن بدء عصر مُظلم، فمُنذُ سبعة وثمانين عامًا لم يكتمل القمر ويتلون بذلك اللون الدمويّ لمرة واحدة. بوابات الجحيم قد فُتحت وخرج منها كائن قد التهم أحد العامة البؤساء، ولا أحد يعلم ما الذي خرج أيضًا منها. مُنذُ قديم الأزل والحرب قائمة بين الشيطان وهيكاتي، حين طُرد الملعون من الفردوس وحُكم عليه بالسجن في حلقة الجحيم السابعة وهو يحاول بشتى الطُرُق أن يسير بحرية في أرض الأحياء، فارضًا سلطته وشروره عليها وعلى سُكانها، ولكن المانع الوحيد كان قدراته المحدودة ... فمن أين سيستطيع أن يعززها؟

أجابتها إحدى المُتدربات: «عن طريق هزيمته لهيكاتي العظيمة، فهي الوحيدة القادرة على حُكم عالمنا وعالمهم»، هزت إربيا رأسها وقالت: «نعم بالفعل، لم يستطع الشيطان هزيمة أمنا العظيمة في الماضي، ولكنه لا يزال يحاول إيجاد طريقة مناسبة لتعزيز قواه، ليعيد الزمن نفسه وتحدث معركة أخيرة، ينتصر فيها الملعون ويظفر بتلك القوة الرهيبة ... فاستعان بأختين من البشر تحملان في قلبيهما شرور العالم أجمع ... ريا وسكينة».

رفعت إحدى المتدربات يدها، فسمحت لها إربيا بالحديث، فقالت الفتاة: «وما الرابط بين مجرمتين كانتا كُل أطماعهما

هي الذهب والنفوذ، وبين خطة شريرة للسيطرة على العوالم؟»، فوقفت زيرا لتشرح للفتاة بعد أن نظرت لـ لإربيا طالبةً منها السماح بالحديث، فهزت الأخيرة رأسها بالموافقة، فقالت زيرا: «ريا وسكينة لم تكونا مجرد فتاتين قرويتين جاءتا من مجتمع يغلب عليها البؤس والفقر. لقد طردتا من القرية بسبب ممارسات السحر، النوع المظلم من السحر تحديدًا. طوال حياتهما البائسة كانتا يطمحان لنيل رضاء المُكبل في آخر حلقات الجحيم، ولكن بخبراتهما الضئيلة باءت كل محاولتهما بالفشل الذريع. وبعدما وصلتا لـ«مدينة الإسكندر الأكبر»، تواصل معهما ملك العالم السفليّ بعدما قتلتا أول ضحية لهما، وأقنعهما بالموافقة على إجراء مراسم شيطانية، ستمده بالقوة في مواجهته مع هيكاتي». رفعت إربيا يدها لـزيرا لتتوقف الأخيرة عن الكلام، ثم قالت: «الآن، سنشاهد معًا رؤية من الماضي، لنعرف جميعًا ما حدث تحديدًا...ابدأي يا زيرا»، فتوجهت الفتاة لمنتصف القاعة، وأخرجت سُرة صغيرة، وجثت على الأرض وسكبت ما بداخلها حولها، مكونةً لدائرة، كانت السُرة تحتوي على رمال سوداء، ما إن أخرجتها زيرا من السُرة حتى نفر الجميع من الرائحة القذرة المنُبعثة منها، فقالت إربيا: «تلك الرمال من الثُربة المُحيطة لمنزل الملعونتين...رمال دنسة، شهدت على الجرائم الشيطانية التي ارتكباها...ستساعد زيرا بالتواصل

بشكل أسرع».

أغمضت زيرا عينيها وتمتمت بتعويذة الزمن، قائلَةً «تيمبوس-ري-واينالاخ»، ففتحت عينيها اللتين تحولتا للون الأبيض وظهر مشهد ضبابي في غرفة قذرة، بداخلها امرأتان قبيحتان تهاجمان ثالثتهما التي كانت لا حول لها ولا قوة.

***

-٤-

«أمسكيها جيدًا أيتها الغبية، إن صرخت سيلتهمنا من بالخارج»، قالتها امرأة طويلة سمراء اللون، ملامحها قبيحة بشكل مُرعب وتحمل في عينيها شر العالم كُله وهي تحتضن امرأة بائسة من الخلف. بينما كانت الأخرى الأكثر قبحًا منها زائدة الوزن، قصيرة الطول عن أختها تحاول أن تكبل يدين الضحية. ثم أخرجت المرأة الأولى سكينًا طويلًا من حزام قماشيّ كانت تلفه حول خصرها، وذبحت المسكينة بدماء باردة دون أن تتردد لحظة. فاندفع شلال الدماء في وجه القصيرة القبيحة، التي دُهشت لثواني قليلة فقط، ليس خوفًا من الدماء، ولكن خوفًا على ملابسها البالية من أن تتسخ. «قلت لكِ ألا تذبحيها وهي أمامي أيتها الغبية، لقد اتسخت ملابسي»، فضحكت أختها الخبيثة قبل أن تسعل كمن قامت بتدخين عشرات السجائر، ثم قالت «سوف أشتري لكِ العديد من الفساتين يا ريا. انظري لكل هذا الذهب التي كانت ترتديه تلك البائسة، سنصبح من أغنياء المدينة»، ابتسمت ريا ابتسامة بلهاء كاشفةً عن أسنان سوداء قبيحة وهي تتخيل حياتها التي ستتحول للأفضل بعد كُل هذا البؤس والشقاء، حين قاطع أحلامها انفجار مصباح الكيروسين فوق رأسيهما. «يا للحظ التعس، سأشعل عودًا من الكبريت»، قالتها سكينة

وهي تبحث في السُرة المعلقة حول رقبتها عن الكبريت، فشقت طريقها بيديها وسط بعض العملات النقدية وعلبة سجائر قد أوشكت على النفاد حتى وصلت لعلبة الكبريت.

أشعلت عودًا من الأعواد، فصرخت في رُعب ودهشة من هول ما رأته، «ماذا بكِ أيتها القبيحة؟»، قالتها ريا لـ سكينة التي أشارت بيد مرتجفة لشيء ما يقف خلف أختها، فالتفتت القبيحة السمينة لتجد الجثة التي كبلتها توًا تقف خلفهما وهي مبتسمة ابتسامة مرعبة، بينما تنزف رقبتها بغزارة. فقفزت ريا لتحتضن أختها التي كانت ترتعش في صمت، ثم قالت بكلمات شبه متماسكة» «لا تؤذينا ولا نؤذيكِ. هل أنتِ من الجِن؟» فطقطقت الجثة المبتسمة بأصابعها، فاشتعلت شمعات الشمعدان الساكن على المنضدة التي كانت على يمينها، ثم قالت بصوت خشن عميق: «سؤال غبيّ من امرأة قبيحة وغبية. لا، أنا لستُ من الجِن. أنا سيدهم ومن يحكمهم...أنا الشيطان بنفسه!»، فسجدت الأختان له في خوف، ثم قالت ريا في سعادة: «سيدي وسيدها وسيد العالم أجمع، اليوم هو يوم السعادة والهناء. جلالتك لا تعلم كم انتظرنا من الوقت حتى نحظى بشرف الوجود في حضرتك يا...»، فقاطعها الملعون قائلًا: «كفاكِ ثرثرة!»، ثم توجه إلى المقعد الوحيد الموجود في الغرفة القذرة وجلس بهدوء، وتجلى ومن خلف الجسد النسائيّ المنحورة رقبته ظل

شيطانيّ كبير على الحائط، ذو رأس ضخم له قرنان طويلان. شهقت القبيحة ريا فوكزتها سكينة بكوعها خشية أن يغضب الملعون.

ظل الكائن ينظر لهما بتفحص وهو يتنفس ببطء، صوت أنفاسه كان ثقيلًا كما الظلام الملتف حول الشمعدان محاولًا ابتلاع نيرانه لتسود قوته. ثم ابتسم الشيطان بمودة مرعبة وقال: «ما أحلامكما يا ابنتيّ؟ الثروة، النفوذ، أم القوة المطلقة للعالم السفليّ؟ أنا هنا لتلبية أحلامكما. أعلم جيدًا ما مررتما به، وأعلم أيضًا أنكما حاولتما التقرب مني كثيرًا، وها قد جاءت الفرصة، وكُلي أذان صاغية»، لمعت عينا سكينة في الظلام كالقطط من شدة الشوق لتلبية مطالبها، ثم أجابت «كُل شيء، نُريد كُل شيء. أود أن أقتلع السعادة من ذلك العالم الكريه، أريد أن أحظى بسعادة كُل البشر تاركةً لهم رُعبًا لن يستطيعوا العيش في وجوده. أرغب أن يعم الظلام على العالم، وأصبح أنا من ضمن أميراته يا سيدي»، ثم نظرت لـ ريا التي كانت متحمسة لكلمات أختها، ثم أكملت بدلًا عنها قائلَة: «الظلام يا سيدي، الظلام هو الإنصاف نظير شقائنا وبؤسنا في ذلك العالم القبيح. أتمنى أن يرتعد خوفًا كُل من يقع على آذانهم اسمانا. نريد أن نحكم بلا نهاية وبلا منافس. وإن كان الجحيم هو مصيرنا، فاسمح لنا بأن نكُون خادمتين لك في أعمق دركاته!»

نظر لهما الكائن بانبهار، ثم بدأ في التصفيق بيده وهو يضحك ضحكة مفزعة ثم قال: «عظيم جدًا، تلك هي مطالبكما، أما عن مطالبي فليست بكبيرة على متدربتين ماهرتين مثلكما. أريدكما أن تأتياني بأرواح ستة عشر فتاة أخريات وأعدكما بالخلود والقوة»، نظرت ريا لأختها سكينة في تعجب مما سمعته، بينما كان الملعون ينظر لهما بابتسامة مفزعة ثم أكمل: «أعلم ما يجول في عقليكما المتعفنين، سأرتب كُل شيء. سألعنهم بالشتات والتفرقة الأبدية –وأشار بيده تجاه النافذة التي تعالت من خلفها أصوات المارة من بائعين وأهالي- حتى تسنح لكما الفرصة لتنفيذ كُل شيء ... تذكرا، ستة عشر روحًا لستة عشر فتاة. والآن، هل توافقان على مطالبي نظير هداياي الثمينة يا حبيبتيّ؟»، ابتسمت الملعونتان في حماس وهزتا رأسيهما، فقام الملعون من مجلسه ونظر للأرضية الطينية التي كانت بينه وبين الأختين، ثم أشار بيده اليمنى للأعلى ضامًا أصابعه كلها فيما عدا الوسطي والسبابة، ومشيرًا بهما للأعلى، وفعل الشيء نفسه بيده اليسرى مشيرًا بهما للأسفل، فارتجت الأرض من تحت قدميه لبعض ثوانٍ ثم فوجئ الأختان بحدوث شقوق رفيعة واضحة خرج منها نيران صغيرة تشكلت مكونةً لرمز غريب لم ترياه من قبل.

نظر لهما الخبيث من خلف جلد جثة المسكينة التي ذُبحت تَّوا، ثم قال لهما: «والآن يا صغيرتيّ، تقدما لتحل عليكما بركة نصل «الآثِم». اقتربت منه ريا وسكينة في حذر ثم أمسك بيد كلتيهما وبسطها أمامه، ثم وضع يده اليمنى على ساعده الأيسر الذي ظل ينبض بقوة بينما هو كان يتأوه بصوت غليظ مرعب هو عبارة عن خليط من الألم والنشوة، حتى اخترق ساعده من الداخل للخارج نصل لخنجر بدأ في الخروج شيئًا فشيئًا، فالتقطه من بين دمائه السوداء، وشهقت الأختان حينَ التئم جرح سيدهما بسرعة. لم تكن شهقات فزع، بل كانت خليط من الانبهار والدهشة.

أمسك الملعون بيد سكينة اليمنى وجرح راحة كفها بالخنجر، فعل الشيء نفسه بـ ريا ثم قال بنفس الابتسامة الشيطانية: «والآن، فلتوقع كُل منكما على عقد الاتفاق بيني وبينكما –وأشار للرمز الغريب المنقوش على الأرضية الترابية- بضع قطرات من دمائكما النجسة ستفعل المعجزات» فتقدمت كلتاهما لتقفا في منتصف الرمز، ثم ضغطتا على الجرح في يديهما لتتساقط قطرات الدماء عليه وفارت كلما لمست إحداها الأرض.

وفجأة، تصلب جسد الأختين كمن تسري في جسده الكهرباء، وفتحا فميهما على مصراعيهما، واسودت أعينهما

كما الليل للحظات ثم عاد كُل شيء لطبيعته. «أنتما الآن من نسلي، نتشارك الدماء البشرية والسفلية، تتمتعان ببعض من قدراتي الخارقة...ولكن، فقط البعض. لاكتمال الشروط، يجب أن أحصل على أرواح البائسات المُتفق عليهن»، قالها الشيطان لابنتيه بالتبني، بينما كانت كلتاهما تفحصان جسديهما في دهشة تدل على الشعور بشيء مختلف قد أصابهما. أخرجت سكينة السكين من جرابها القماشيّ وقامت بإحداث قطع عميق في ساعدها، استطاعت أن تتبين العظام البيضاء من داخله، ولم تمر ثانيتين حتى التئم الجرح بسرعة. أما القصيرة القبيحة، فتوجهت للحائط المقابل، وخلعت نعلها البالي وأخذت تمشي على الحائط حتى وصلت للسقف فوطأت عليه بقدميها ونظرت لسيدها وأختها وهي تبتسم بشكل معكوس، بينما كان الشيطان يصفق بيديه كأحد أطفال الجحيم السعداء.

«اهبطي أرضًا أيتها العاهرة وكفي عن اللعب، يوجد ما يجول في رأسي وأريد أن أناقش فيه سيدنا وسيد العالم»، قالتها سكينة لـ ريا التي كانت تتراقص وتتمايل وهي تخطو خطواتها على سقف الغرفة وهي تردد كلمات من أغنية قائلةً: «بنت الحارة يا بنت الحارة، حبيتك يـ أم حلق تارة»، فنظر لها الملعون بنظرة غاضبة، ورفع يده وأطبق بأصابعه مكونًا قبضة في الهواء فاختنقت ريا وسقطت أرضًا، وسجدت

لسيدها وهي تعتذر. جلس الملعون مرة أخرى على المقعد وتنهد ليزفر الهواء الأكثر سخونة على وجه الأرض لدرجة أن القبيحتين قد وضعتا يديهما على وجوههما.

«أنتِ تريدين بعض المساعدة يا سكينة أليس كذلك؟» سجدت سكينة لسيدها بعدما انبهرت بكلماته التي قرأها من بين طيات عقلها، ثم قالت: «نعم يا سيدي، زوج من الرجال الأشداء الأصحاء لمساعدتنا في تكبيل العاهرات اللائي سيسقطن في براثننا»، فوضع الملعون ساقًا فوق الأخرى، ثم وضع يديه خلف ظهره وأظهرهما للأختين حاملًا بينهما قدحين من الفضة، ثم قال: «فلتتقدم كل منكما على حدة وتأخذ قدحها لتتجرع ما فيه بداخل الختم المقدس». تقدمت سكينة وتناولت الكأس الموضوع في يده اليمنى ونظرت بداخله لترى سائلًا أخضر غريبًا، أغمضت عينيها وشربت كُل ما بداخله ثم عادت لتقف في منتصف الختم الشيطانيّ. ثم تبعتها ريا وفعلت مثلما فعلت أختها وعادت لتقف بجانبها.

مرت ثوانٍ قليلة قبل أن تمسك كلتاهما بمعدتيهما اللتين بدأتَا في الاعتصار من شدة الألم، جلست الاثنتان في وضع القرفصاء ولم تتمالك كلتاهما نفسيهما فتغوطتا محدثين فوضى عارمة بداخل الختم الشيطاني. ابتسم الملعون وهو

يشتم تلك الرائحة الكريهة برضا وسعادة. نظرت له الأختان نظرة المذلة والاشمئزاز من وضعهما السيئ، فنهض الملعون من على المقعد المتهالك، ورفع يديه في الهواء ببطء، فإذ بكيانين يتشكلان من مخلفات ابنتيّ إبليس المقززة وكأنّ الغائط هو الرحم الذي قد أنجب هذين الكائنين اللذين وقفا على قدميهما كما البشر مع اختلاف البشرة الخضراء المتعفنة والملامح المطموسة.

طابق الشيطان يديه فوق بعضهما البعض وأغمض عينيه، ثم أبعدهما ببطء لتظهر الملامح الكاملة لزوج من الرجال، من ذوي بشرة سمراء وملامح ذكورية، أحدهما في طول سكينة والآخر في طول ريا. فنطق الملعون قائلًا: «رحبا بالمساعدين الجديدين»، تأمل الشيطان وجهي ريا وسكينة اللتين كانتا في حالة من الانبهار لما يفعله سيدهما الملعون، وتقدمتا من نصفيّ البشر الاثنين وظلتا تتحسسان وجهيما بأيديهما في إعجاب شديد. ضحك الملعون ضحكة مرعبة وهو يصفق بيديه في سعادة، ثم قال: «تعانيان من الوحدة يا بائستان، حسنًا. هما لكُما، لتفعلا ما يحلو لكما بهما»، ابتسمت سكينة القبيحة وهي تنظر للمخلوق الشبه آدمي ثم قالت: «من اليوم، سأدعوك عبدالعال» أما سكينة فأمسكت بيد ونيسها الآخر وقالت: «وأنت...سأدعوك حسب الله». نهض الملعون واقترب منهم حاملًا نظرات الفضول الغاضبة

على وجهه، فسجد الجميع الذين تعجبوا عندما تجاوزهم سيد الظلام واقترب من الحائط ونظر إليه نظرة مطولة، ثم عقد حاجبيه وقال: «أيتها الملعونة، سأعتصر قلبك الخبيث»

***

ارتجف جسد زيرا بشدة بينما كان الحاضرات من الساحرات يتابعن المشهد الذي اقترب فيه الشيطان من داخل الهالة الضبابية مقربًا وجهه لوجه زيرا وهو يسبها بغضب بينما كانت هي تنتفض بقوة. صرخت إربيا: «أغلقي الدائرة يا زيرا، لقد كشف ذلك الملعون أمرك. أغلقي الدائرة الآن يا بنيتى!»، ظلت زيرا تنتفض بقوة وهي تصرخ بينما كان الشيطان ينظر لها في غضب شديد، ثم امتدت يد مخلبية حمراء اللون كما الدماء المتجلطة وأمسكت برقبة المسكينة زيرا لتسحبها داخل الهالة الضبابية للرؤية.

تسمر الحاضرون من الدهشة ومن ضمنهم إربيا التي شاهدت الأربع شياطين ينظرون لهم من داخل الهالة بالإضافة لسيدهم الأعظم الذي كان ممسكًا برقبة زيرا التي جاهدت لتحرير نفسها، ولكن بلا فائدة. أما عن الشيطان نفسه، فقد تجرد من الجلد البشري ليظهر على حقيقته المفزعة، بشرة حمراء اللون، جسد ضخم ممتلئ بالعضلات، قرون صغيرة ممتدة من جبهته التي خُتِمَ في منتصفها

تمامًا نجمة خماسية معكوسة، عينان سوداوان واسعتان وفم مبتسم ممتلئ الأسنان الحادة المصفوفة. كانوا جميعهم ينظرون للساحرات بمنتهى التحدي والشر، ثم قال الشيطان كلمته الأخيرة: «تلك الروح البائسة هي ترضية مؤقتة لي جراء تدخلكن فيما لا يعنيكن، حتى تأتي اللحظة الحاسمة وسأفترسكن جميعًا» نظرت زيرا المحتضرة بابتسامة واهنة، مطمئنّة لأمها بالتبني –إربيا- تجاه ما سيحدث. فضغط الشيطان ضغطة واحدة بيده على رقبة المسكينة ليكسرها بعنف وتسقط زيرا جثة هامدة تحت قدميه، ثم انقشعت الهالة الضبابية، واختفى كل شيء.



-٥-

في أحد المطاعم الراقية بمنطقة محطة الرمل الشهيرة، جلست فتاة ترتدي بذلة نسائية من ذلك الطراز المتعارف عليه لسيدات الأعمال، تحتسي قهوتها وهي تتصفح شبكة الإنترنت عبر هاتفها المحمول. جسدها الرياضي الممشوق وملامحها الجميلة التي لم تستطع نظارات الشمس التي كانت ترتديها أن تحجبهما قد انجذب إليهما كُل من كان بالمقهى. إلى أن جاءتها رسالة على حسابها الشخصي بموقع الـ G-mail، ضغطت على أيقونة فتح، لتشاهد فيديو قصير جعلها تشهق في فزع واضعةً يدها على فمها، أما عن سبب الصدمة فكانت بسبب أن الفيديو قد سُجل من داخل غرفة النوم بصحبة رجل وقد أُرسل إليها مصحوبًا برسالة نصية مكتوب فيها: «حكمي عقلك، أو أقسم لكِ أن أنشره عبر كُل مواقع التواصل الاجتماعيّ.»

لم تتمالك الفتاة نفسها، فانهمرت الدموع من عينيها في صمت وهي تشاهد الفيديو الصادم مما جذب انتباه شخص آخر كان يجلس في آخر المقهى. فتاة تتساقط خصلات شعرها الأسود الممزوج بالأحمر من أسفل قلنسوة السترة القطنية التي كانت ترتديها أسفل معطف بنيّ من الجلد. نهضت الفتاة وتوجهت ببطء نحو المسكينة الباكية محدثةً

أصواتًا صاخبة بحذائها الجلدي ضخم الكعبين، ثم وقفت أمام الفتاة وقالت: «أتمانعين أن أجلس معكِ قليلًا؟»، فنظرت لها المسكينة وخلعت نظارة الشمس من على عينيها لتمسح دموعها، ثم قالت: «لا مانع لدي، ولكن من أنتِ، هل تعرفينني؟»، جلست الفتاة ذات الخصلات الحمراء وأنزلت عن رأسها تلك القلنسوة لتكشف عن ملامح غريبة هي خليط من الجمال والقسوة. عينان زرقاوان واسعتان وجميلتان، ولكن نظراتهما حادة، بشرة بيضاء أقرب للشحوب. نظرت لها الفتاة المسكينة وقالت: «على الأقل عرفيني بنفسك»، ابتسمت لها ذات الشعر الأحمر وقالت: «تميمة. أنا أُدعى تميمة»، مدت لها الفتاة المسكينة يدها وقالت: «تشرفت بكِ، وأنا ريماس» لم تمد تميمة يدها لترد السلام، بل ظلت تنظر لـريماس منتظرةً أن تقص عليها ما حدث، فسحبت ريماس يدها وتنهدت قبل أن تقول: «لقد كنت على علاقة برجل أعمال معروف يدعى أشرف جميل، أعجب بي في أثناء عملي في إحدى شركاته المعروفة بصفتي موظفة لخدمة العملاء، تبادلنا الإعجاب فترة طويلة ثم تطور الموضوع بشكل أكبر، إلى أن حدث انفصال بعد علاقة قد دامت لخمس سنوات. حاول كثيرًا أن يتودد لي، وأجبرني عدة مرات على الرجوع، ولكني كنت رافضة تمامًا، فبعد ساديته ومزاجه الجنونيّ المتقلب والتقليل من شأني أمام الآخرين في

المناسبات المهمة، لم أستطع أن أقبل بذلك الوضع المُهين ولو كُنتُ أمتلك أموال العالم. إلى أن فوجئت الآن بذلك المقطع -ووجهت الهاتف لـ تميمة لتريها المقطع الفاضح- ولا أدري ما الذي يجب عليّ فعله، فالآن هو يبتزني لأعود إليه وأنا أهون عليّ أن أموت قبلما أفكر مجرد التفكير في العودة».
أخرجت تميمة علبة سجائر من جيب المعطف الجلدي وأخرجت سيجارة لتشعلها، فلفت انتباه ريماس ذلك الشيء الموجود على رسغ تميمة، لم تدرِ إن كان هو بقايا لحرق قديم إثر حادثة أم أنها «وحمة» مثلًا، كان عبارة عن نجمة خماسية محاطة بدائرة، ملتصق بالأخيرة من جهة اليمين واليسار هلالان معاكسان لبعضهما البعض، ويخترق الدائرة ثلاثة حراب ثلاثية متقاطعين في المنتصف.

فانتبهت تميمة لنظرات ريماس الفضولية للرمز المختوم على رسغها، فقالت لها: «علامة ولادة ليس أكثر»، ثم أخذت نفسًا من السيجارة ونفثت دخانها بجانب فمها، وأخرجت أنبوبًا زجاجيًا من جيب المعطف الداخلي الأيمن ومدية صغيرة من الجيب الداخلي الأيسر ثم فتحتها ليظهر نصلها اللامع أمام ريماس التي نظرت يمينًا ويسارًا خشية أن يراها أحد العاملين أو الزوار وقالت لـ تميمة في توتر: «ما هذا؟ ماذا ستفعلين؟»، أجابتها تميمة بعد أن اقتربت منها قليلًا: «سأساعدك، ولكن يجب عليكِ أن تثقي بي. أنا أريد بضع

قطرات من دمائك فقط، واتركي الباقي لي. أعدكِ أن أخلصك تمامًا من ذلك الخنزير المتعجرف... أعطني يدكِ»، كانت ريماس يائسة تمامًا، أُغلقت كُل الأبواب في وجهها، وكانت كالغريق المُتعلق بقشة لتنقذه، فمدت يدها المرتعشة لـتميمة يدها التي –وبسرعة فائقة- جرحت راحة يد ريماس، ثم أغلقت قبضة الأخيرة بيدها لتعتصر الدماء منها داخل أنبوب زجاجيّ، ثم أغلقت الأنبوب ووضعته في جيب المعطف.

وضعت ريماس منديلًا ورقيًا على الجرح بعد أن رشته ببعض الكحول التي كانت تحمله معها في حقيبتها، ثم قالت لـ تميمة: «أنا لا أعلم سبب تلك الطمأنينة التي أشعر بها نحوك، أرجو أن تخلصيني منه يا تميمة كما وعدتني، ولكني أحذرك، ذلك الرجل قاسي القلب ولن يفكر مرتين قبل تدميرك إذا ما أثرت سخطه بشكل أو بآخر!»، أرجعت تميمة رأسها لتستند إلى المقعد، وابتسمت ابتسامة ثقة ثم قالت: «لا تقلقي، لقد اعتدتُ التعامل مع المتنمرين من الرجال أو النساء ... وغيرهم من الأجناس الأخرى»، تعجبت ريماس من الجملة الأخيرة، كانت على وشك أن تسألها عن قصدها بالـ "الأجناس الأخرى» لتفاجئ بصوت نعيق آتٍ من على يمينها، والتفتت لترى غرابًا ملونًا بالأبيض والأسود، ينظرُ إليها من خلف الزجاج. فالتفتت مرة أخرى لـتميمة، لتجدها قد اختفت مثلها كمثل الغراب الذي التفتت إليه مرة لتجده قد

طارَ هو الآخر بلا أي مقدمات.

***

مرت ساعة تقريبًا بينما كانت تقود سيارتها الرياضية الزرقاء، كانت طلتها أقل ما يقال عنها أنها ملائكية، مع القليل من التحرر الفتان. تضع القليل فقط من مستحضرات التجميل، فما تفعل مستحضرات تجميل أكثر بذلك الوجه ذي البشرة البيضاء والأنف الصغير بالإضافة للعينين الواسعتين المُكحلتين بشكل طبيعي من صُنع الخالق؟ أما الفستان فقد كان ضيقًا بعض الشيء ليبرز جسدها الرياضيّ الممشوق، بالإضافة لتلك الفتحة التي بينت بشكل كبير ساقها اليمنى التي كادت أن تضيء أرضية السيارة بشكل أقوى من ذلك المصباح البائسة إضاءته، بالمقارنة لجمالها. تجمعت شعيراتها الناعمة كالزبدة لتستقر على مؤخرة رأسها مُزينّة إيّاه بمشبك فضيّ مرصع بالورد الكريستاليّ الأحمر الصغير.

أخرجت سيجارة رفيعة بنية اللون من علبتها، ثم أشعلتها وتبادلت النظرات بين الطريق وبين انعكاسها في مرآة السائق، ثم قالت: «له حق أن يجن جنونه بكِ يا ريماس، فجسدك وجمالك يغريان الشيطان نفسه». وفجأة، تبدلت ملامح انعكاس ريماس لشيطانة من عالم لا يمت لعالمنا بصلة؛ بشرة رمادية، عينان سوداوان، شفاه أشد سوادًا.

نظرت المخلوقة لـريماس التي تبدلت ملامحها شيئًا فشيئًا لملامح تميمة، التي نظرت نظرة حاجة حادة للمخلوقة، وقالت لها: «لم آذن لكِ بالظهور.. ماذا تريدين على أية حال؟» ضحكت المخلوقة ضحكة غليظة مرعبة وقالت: «ألم تملي من مساعدة المخلوقات الفانية؟ ضعي تركيزك على أهداف أسمى يا تميمة!»، نظرت تميمة بغضب للمخلوقة وقالت بصوت أجش: «سيدتك تميمة!»، واشتعلت عيناها كشعلتين من اللهب، فارتجفت المخلوقة وقالت بكلمات أكثر تهذيبًا: «أنا أخشى علينا سيدتي، فهناك العديد من سُكان العالم السُفلي الراغبين في الانتقام منا، إثر معاقبتك لهم ... يجب أن نصب تركيزنا على مصالحنا الشخصية»، نظرت لها تميمة نظرة مطولة ثم قالت «أنا فقط من يقرر ماذا أفعل، وبناءً عليه، ستقومان أنتِ وصديقتك الحيزبون بفعل ما أقرره».

تعالت ضحكات متقطعة لسيدة عجوز قبيحة قد ظهر انعكاسها في المرآة التي كانت على يسار تميمة؛ امرأة مجعدة البشرة ذات أنف طويل معقوف وشامة سوداء على خدها الأيسر، ناهيك عن شعيراتها البيضاء التي كانت تكاد تغطي صلعتها. نظرت لها تميمة بنفاد صبر ثم قالت: «ها قد جاءت الشمطاء، هل لديكِ بعض التعليمات أنتِ الأخرى؟» سعلت العجوز القبيحة قبل أن تقول بصوت كفحيح الأفعى: «أنا فقط أتعجب من تعلقك الزائد بذلك الجنس الواهن، ترى

ما الأسباب التي قد تجعل فتاة بمثل بتلك القدرات الإلهية أن تساعد هؤلاء الضُعفاء؟ وعلى حساب من؟ ... مخلوقات أسمى وأرقى منهم؟ تشنين هجمات قاسية على أبناء العالم السفلي بشكل وحشيّ، متناسية أن نصفك ينتمي إليهم»، نظرت تميمة للعجوز القبيحة وهي تشعل سيجارة، ثم قالت لها: «مشكلة أبناء وبنات جنسك هي جنون العظمة، مُنذُ بداية الكون وأنتم غارقون في الكِبر متجاهلين أنكم لستم وحدكم في هذا الكون، تتلبسون بالأطفال، تصيبون الرجال بالجنون وتدفعونَ السيدات للانتحار، تخترقون عالمهم دونَ وجه حق، تكيلون الهجمات والضربات الشرسة المفزعة عليهم إذا ما أخطأ أحدهم واستحضركم بمحض الصدفة ودون عِلم... أنتم لا تعطون أحد منهم فرصة الثانية...وأنا لن أرحم أحدًا منكم إذا ما تطاول واخترق عالمي الذي ينتمي نصفي الآخر إليه. والآن، تذكرا أيتها القبيحتان من أكون ... فلتذهبا للبئر القذرة التي تسكناها، إلى حين وقت أحدده أنا لأستدعيكما»

زأرت الشيطانة الرمادية في غيظ وهي تنظُر لتميمة من مرآة السائق الأمامية ثم قالت في غضب مكتوم: «أمرك سيدتي...قبل أن نذهب أريد أنقل لكِ خبرًا مُفزعًا، هناك لعنة قديمة قد فُتِحَت أبوابها مرة أخرى، برعاية سيد الظلام... أتمنى أن أراكِ بقوتك نفسها الآن حين تضطرين للمواجهة»، نظرت لها تميمة بلامبالاة ثم رفعت يدها ولوحت بها

أمام الشيطانة الرمادية والعجوز الشمطاء وتمتمت قائلة: «جــولناريختا-لوفيرنــوس»، فاشتعلت النيران بالكائنتين المحبوستين في المرايا، وظلتا تصرخان من الألم حتى اختفيتا تمامًا. «هذا أفضل ... قليل من الهدوء قبل المهمة»، قالتها وهي تضغط على دواسة الوقود، لتنطلق السيارة بأقصى سرعة في طريقها لتلك الفيلا التي تجاوزت تميمة لافتة تخصها، مكتوب عليها «فيلا أشرف جميل – ٥٠ ك.م»

لم تستغرق الكثير خلف البوابة، فسرعان ما تقدم إليها أحد أفراد الحرس الذي كان يحمل سلاحًا آليًا نصف طوله تقريبًا، ونظر لها وابتسم في حرج وقال: «أهلًا ريماس هانم، تفضلي بالدخول»، ثم ضغط على زر جهاز التحكم عن بعد بالبوابة لتُفتح من تلقاء نفسها. قادت سيارتها حول النافورة الكبيرة الفخمة التي كانت تتوسط الحديقة أمام بوابة القصر الرئيسية، وترجلت من السيارة لتستقبلها الخادمة وتشير إليها بالدخول بعد انحناءة تدل على الاحترام والتقدير. دخلت لبهو القصر الراقي وهي تتفحص اللوحات العملاقة الدالة على أصليتها ومدى غلاء ثمنها الذي لا يقدر بأي قيمة، ثم نظرت للسلم الكبير، أغمضت عينيها لثواني لتقفز في أعماق مخها مشهد الممر الكبير الذي كانت تقع في آخره غرفة نوم مميزة عن الباقين المتراصين يمينًا ويسارًا فعرفت على الفور مكان غرفة نوم رجل الأعمال عظيم الشأن.

صعدت السلم رويدًا رويدا، مُصدرة أصوات فرقعة بحذائها ذي الكعب العالي، وتوجهت لغرفة النوم التي توسطت آخر الممر، ببابها الضخم المغطى بطبقة من القطيفة السميكة. وحين اقتربت منه، فتح الباب من تلقاء نفسه لتدخل غرفة نوم لم يخطر جمالها على بال إنس أو جان؛ جدران مطعمة بنقوش من الذهب الخالص، لوحات لأشهر الرسامين، وفي المنتصف كان هُناك سرير ضخم يستلقي عليه رجل سمين أصلع الرأس ذو لحية مهذبة، يضع بين شفتيه سيجارًا ضخمًا بنيّ اللون، ثم أمسك بالسيجار بين أصابع يده اليمنى بينما كان يتكئ على اليسرى مرتديًا بيجامة من الحرير زرقاء اللون، وابتسم بكُل فخر قائلًا: «كُنتُ أعلم أنكِ أذكى من أن تتواري عن عينيّ. لهذا كُنتُ أحبكِ يا ريماس، فتاة ذكية تعلم جيدًا من أين تؤكل الكتف»، تركت ريماس –تميمة- حقيبتها لتسقط أرضًا، ثم قالت بنعومة: «افتقدتك يا كينج، على الرغم من توتر علاقتنا لكنني لم أشغل تفكيري وقلبي بسواك»، فعبس وجه الرجل، ثم قال بلهجة تحذيرية: «ومن أنتِ لتشغلي قلبكِ وعقلكِ بأحد غيري يا غبية؟»

مدت ريماس يديها للخلف ببطءٍ لتفتح سحاب الفُستان وهي تقول: «دعنا من هذا الكلام، واتركني أعوضك عما مضى». وفجأة، ارتعشت الأنوار بينما كانت تميمة تنزع

الفستان عن جسد ريماس التي تشكلت في هيئته، ثم بدأ الفستان في السقوط بينما كان أشرف يسيل لعابه ككلب ضال قد قتله الشوق انتظارًا لوجبته الأولى بعد جوع قد دام لشهور، ولكن ذلك الاشتياق قد بدأ في الاختفاء حين وجد أمامه شيئًا آخر.

بدأ جسد تميمة في إصدار أصوات كمن تُكسر عظامها بالتزامن مع ارتعاش أضواء الغرفة وسقوط الفستان عن جسدها، كلما ارتعشت الأضواء كانت تقترب هي من أشرف الذي لاحظ في النهاية أنه في حضرة كيان شيطاني؛ امرأة يقارب طولها المتران أو أكثر، رمادية البشرة، سوداء العينين والشفاه، اقتربت كما لو أنها كانت تسير على الهواء بطريقة لم يستوعبها عقل أشرف الذي كان في أشد حالات الغياب عن الوعي من مفعول الخمر، وحين زال مفعول الخمر بالقوة نتيجة لوجوده في حضرة ذلك الكائن المرعب الذي كان يقف أمام سريره مباشرةً، قال بمنتهى الخوف والتوتر: «مم. من أنتِ» فقال الكائن بصوت هو مزيج بين صوت وحش كاسر وبقايا من صوت ريماس: «لن يفيدك معرفة كينونتي، أريدك أن تستمتع بما سيحدُثُ الآن».

***

وفي غضون ساعة، اجتمعت عناصر الشرطة وخبراء الطب

الشرعي حول سرير المجني عليه أشرف جميل يتفحصون تلك الجثة الممددة على وجهها، مع ملاحظة ذلك القطع الطولي الذي أظهر بكل وضوح العمود الفقري لينتهي عند فتحة الشرج التي كانت ممزقة بشكل وحشيّ. لم يستدل رجال الطب الشرعي على أداة الجريمة، ولكنّ الشيء الوحيد الذي أجمعوا عليه هو أن المجني عليه قد تعرض لحالة متوحشة من الاغتصاب، وحين استجوب عناصر الشرطة الخادمة عن آخر زيارة للمجني عليه، قالت نصًا: «مدام ريماس طليقة أشرف بيه هي آخر من زاره، ثم ودعها أمامي من أعلى السلم المؤدي لغرفته، وصعد مرة أخرى للغرفة لينام»!



١٩٢١... أعمال شغب الإسكندرية

كَسهم انطلق من قوس أمهر الرماة خرج دخان أسود من أسفل باب شقة الملعونتين، توجه مباشرة لأول رجل قد وجده في طريقه فانساب داخل أذنه، فسيطر على الرجل المسكين حالة من الجنون وظل يرتعش ويصرخ، ثم أمسك برجل آخر كان يمُر من أمامه مناديًا على الخبز الذي يبيعه، وتبادلا اللكمات. اقترب منهما صاحب محل الحلاقة على الرصيف المقابل لتهدئتهما، فخرج من أذن الرجل الأول

الدخان نفسه وتغلغل في عينيّ الحلاق المسكين فأصيب بحالة الهياج نفسها، وتحولت لمشاجرة عجز رابعهما عن منعها، فما بالك بمقاومة هجوم آخر لذلك الدخان الذي اخترق فمه ليصاب بحالة رابعة من حالات الهياج!

ومن رجل لآخر، وأنثى لأخرى، حتى الأطفال والشيوخ لم يسلموا من هجمات ذلك الدخان غير المرئي لهم. فأُصيب كل أهالي حي المنشية بحالة من الجنون المفاجئ، وظل الجميع يتشاجر مع بعضه البعض مشاجرة دامية، أدت إلى سقوط الكثير من المصابين، وتدمير العديد من المحلات التجارية. وفورًا، توجهت عناصر الشرطة في محاولة للسيطرة على الموقف ولا بلا فائدة. اشتعلت النيران في كل مكان، توجهت وحدة مكافحة الحرائق لإخمادها، فلاقوا نصيبهم من ذلك الدخان الشيطانيّ المُغيب للعقول، وسقطوا واحد تلو الآخر ينتفضون كمن صعقهم التيار الكهربيّ.

وفي وسط الشارع، كانت هناك سيدتان تقفان ملتحفتان بالسواد، تواريان وجهيهما بغطاء الوجه المسمى بالـ «بيشة»، أعينهما سوداء تمامًا، ينظران باهتمامٍ شديد لمَ يحدُث مع أهالي المنطقة المُتعارف عليهم بالطيبة والشهامة وهم يتحولون لوحوش كاسرة تدمر كُل ما تقع أعينهم عليه بلا تردد، ومكيلين لبعضهم البعض اللكمات والطعنات بأسلحة

بيضاء.

وفي غضون دقائق، عمت الفوضى وسقط العديد من القتلى ونهبت معظم المحلات التجارية بالإضافة لاحتراق باقيها. أما الشاهدتان الملعونتان، فظهر من خلفهما الدخان الأسود وتشكل في هيئة رجل ضخم، يرتدي عباءة حمراء قانية كالدماء، لا يظهر من ملامحه سوى النصف الأسفل من وجهه، وابتسم ليبين صفين من الأسنان الحادة كالأشواك ثم وضع يديه الاثنتين على كتف الأختين، ومروا جميعًا من وسط أحداث الشغب الدموية، ثم قال بصوت مبحوح كفحيح الأفعى: «انظرا يا حبيبتيّ، لقد جهزت لكما كل شيء، وأحدثت فتنة لن تهدأ إلا بأمري أنا. أنتما الآن لديكما الفرصة لتنفيذ العهد وجلب أرواح النساء الستة عشر دون أن يتدخل أحد من هؤلاء البؤساء في أمركما. لقد أشعلتها نارًا لن تنطفأ أبدًا، سيغرقون لأبد لا ينتهي إلا بمشيئتي في موجات الغضب الدموية، ستستمر المعارك في النشوب دون أن يجدوا من يرجعهم لصوابهم»، نظرت القصيرة القبيحة ريا لسيدها، وقالت: «ولكن كيف لهم ألا يرونا يا سيدي؟»، اقترب منها وهمس في أذنها: «أنا أحب أن أعمل مع خادمات ذكيات، ولكن أنتِ لا ذنب لكِ، فكائن فانٍ وغبي مثلك لن يدرك عظمة ما يحدُث. نحن في كون موازٍ لهم يا ابنتي الغبية ولا يرانا أحد منهم ... لقد ازددتما شرفًا باصطحابي

لكما في الجانب الآخر لتريا من خلال عينيّ ما أنا قادر على فعله، بينما أنتما دنستماه بوجودكما الفاني ... لا يهم، أنتما من ضيوفي» ثم ضحك بصوت مبحوح كالأفعى في سخرية.

التفتت له سكينة سألته بغباء أكبر من أختها: «ألن تدرك عناصر الشرطة ما يحدُث ويقومون باعتقالك و....»، فقاطعها المطرود من رحمة الله، وأشار بيده فتوقف كل شيء عن الحركة فجأة وتجمد الحاضرون كالأصنام. ثم رفع عدو الله يده للسماء، وأنزلها مرة واحدة يضرب بها الأرض، فارتدت الأختان بسرعة خارقة للأعلى وهما تصرخان من الخوف، رأت كلتاهما البيوت والشوارع وهي تتضاءل أسفلهما بينما كانتا تعلوان في الهواء أكثر وأكثر حتى وجدتا نفسيهما محلقتين في السماء فوق السحاب، بينما كان يخيم ظلام الليل فوق رأسيهما. ظلتا ترتعشان من الخوف، حتى ظهر الملعون بردائه الأحمر أمامهما، ثم مد يديه ونزع عن جسده العباءة لتسقط ويظهر ما جعل ابنتيه تصرخان من شدة الخوف؛ جسد أحمر مفتول العضلات، أجنحة عملاقة كأجنحة الخفافيش، قرون ملتوية صغيرة كقرون الخراف في أعلى رأسه بينما كان هناك زوج من القرون أطول منهما فوق أذنه المدببة مباشرةً، أظافر حادة وطويلة سوداء كليلهما المظلم. أما الوجه، فكان ممطوطًا طوليًا، أنفه ممحي إلا من فتحتين كما الموجودة في الجماجم بعد تحلل اللحم

الموجود عليها. عيناه واسعتان، مشقوقتان طوليًا كالقطط الغاضبة.

وما إن رفع يديه الاثنتين في الهواء، اشتعلت السحب المحيطة بالأختين بنيران كنيران الجحيم. ضم الأختان يديهما في توسل ورجاء لملك العالم السفليّ وهما تبكيان، فقال لهما: «أنا ملتهم العوالم، المطرود من الجنة، مفرق البشرية ومسبب عذابها. أنا ابن النار وملكها، أنا المكروه، المنفيّ، اللعين، المُضطهِد، الحاقد، الخبيث. لم ولن يقف أمامي أي شيء، لن يقدر أحد على مواجهتي ولا الهروب من قدره في اصطيادي له ... أنا التنين الأحمر العظيم»، ما إن أنهى الكريه كلماته المرعبة التي كانت بمثابة تهديد صريح وواضح للأختين إذا ما تجاوزتا حدودهما مرة أخرى، عادوا جميعًا إلى الأرض بسرعة خارقة كمن يهوي من السماء السابعة، فوجدت الأختان نفسيهما في الشارع مرة أخرى والجميع يتشاجر كما كان يحدث منذ قليل، حتى سيدهما قد عاد لملامحه السابقة كرجل يرتدي عباءة حمراء.

سجدتا له في خوف وهما ترتجفان، وقالت سكينة وهي تحاول أن تحافظ على رباطة جأشها: «السماح والعفو يا سيدنا وسيد الجميع، نحن جاهلتان بما لا نعلم، ولا نزال سنتعلم الكثير من معرفتك وسننعم بالحماية في كنفك

وبفضل قوتك»، أما ريا فظلت تبكي وتنتحب كالأطفال حتى أنها تبولت لا إراديًا من فرط الخوف، فأشار الملعون بيده فارتفع وجه ريا رغمًا عنها لتقع عينيها على سيدها وهو يضع إصبعه على شفتيه في إشارة منها بأن تصمت. ثم اقترب منهما، وأمسك بيديهما كأب قد شعر بأنه قد تجاوز قليلًا في قسوته على بناته، ثم قال: «أنتما بمأمن معي عن البشر وغيرهم من المخلوقات، وقريبًا جدًا بعد تنفيذ العهد، ستنعمان بكُل شيء قد حرمتا منه في حياتكما البائسة».
ثم ابتعد عنهما قليلًا، وعقد يديه خلف ظهره وهو ينظر للشارع الذي غلب عليه الجنون والدماء، وقال بنبرة غاضبة لم يسمعها غيره: «فقط حين أحصل على القوة المُطلقة لأهزم حفيدة هيكاتي...وحينها، سأنتزع قوتها من بين جثتها الهامدة، وسأحصد روحها القذرة لتصبح خادمة من خادمات الجحيم».

***

-٦-

نظرت الشيطانة الرمادية لـ ريماس التي أشعلت سيجارة بينما تبدلت ملامحها لتعود ملامح تميمة مرةً أخرى من مرآة السيارة بغضب وهي تقول: «غبية، تُهدرين تعاويذ مقدسة هباءً، تعويذة الشبيه من أسمى التعاويذ التي صعب على كُل المُتدربين تعلمها، ثم ألم تجدي أي وسيلة أخرى للانتقام من ذلك الواهن سوى تلك الطريقة المُخزية؟ لقد دنستِ جسدي الطاهر أيتها الهجينة»، نظرت تميمة للمرآة بحدة، ثم ابيضت عيناها وهي تنظر للكائن القابع بداخلها وقالت بصوت مُرعب: «حذار أن تتطاولي عليّ مرةً أخرى، وإلا أقسم أن أرسلكِ لحفرتك القذرة في الجحيم مرةً أخرى»، فزعت الشيطانة الرمادية وقالت: «أعتذر لكِ يا سيدتي، ولكنِ أعتب عليكِ على إجبارك لي بارتكاب تلك الفعلة المُشينة»، ابتسمت تميمة بسخرية وقالت: «عن أي فعلة تتحدثين؟ في عالم البشر نتداول مثلًا يصف موقفك تمامًا، إنه عندما تتحدث العاهرة عن الشرف. أنتِ شيطانة من العالم السفليّ دمرت الكثير من العوالم والأجناس الأخرى، أما تلك الساحرة المُظلمة –وأشارت للمرآة اليسرى التي ظهر فيها تلك العجوز الشمطاء ذات المنخار المعقوف– قد قتلت العديد من الأطفال لصنع مرهم طيران تدهنَهُ على مكنستها القذرة لتمتطيها وتجوب

البلدان ناشرةً للرُعب في قلوب البؤساء والمساكين. اشكراني لأنــ..».

لم تكمل تميمة ما تقوله، بل ضغطت على مكابح السيارة بكل قوة حين فوجئت بشخص ذي ملامح غريبة يقف أمام مصابيح السيارة، ممسكًا بسيجارة بين أصابعه وواضعًا يده الأخرى في جيب سرواله بمنتهى الثقة؛ نحيف للغاية، طويل البنيان بشكل مبالغ فيه، يرتدي حُلة سوداء وربطة عنق مزينة بمجموعة مختلفة من الحشرات مكونةً لشكل سرياليّ غريب، بشرته شاحبة تمامًا وعيناه سوداوان بالكامل، أما ابتسامته فكانت دربًا مختلفًا من دروب الرُعب نظرًا لثباتها الذي كان واضحًا للغاية تحت تأثير مصابيح السيارة، الأغرب في الموضوع أن الحشرات المنقوشة على ربطة عنقه كانت تتحرك وكأنها قد دبت فيها الروح.

«ترجلي من ذلك الشيء البائس واسجدي له، أتوسل إليكِ يا سيدتي أن تسجدي لـملك الذُباب!»، قالتها الساحرة المظلمة وهي ترتجف خوفًا من ذلك الكائن، فقالت لها تميمة بحدة: «اخرسي أو اغربي عن وجهي أيتها الحمقاء. نظرت تميمة لمن يُدعى بـ ملك الذباب في تحدٍ مصبوغ بالتوتر من خلف زجاج السيارة، لتجده يرجع رأسه للخلف ويضع المتبقي من السيجارة بين شفتيه وليأخذ النفس الأخير

منها، ولكن ما جعل تميمة ترتعد في مقعدها هو أن بالتزامن مع تدخين الكائن لسيجارته، تحركت الحشرات بشكل أفقيّ للأعلى حتى وصلت لنهاية ربطة العُنق واختفت تمامًا وكأن الكائن قد شرع بتدخينها مع بقايا السيجارة.

أمسك الكائن بعُقب السيجارة بين إصبعيه، وابتسم ابتسامةً أوسع، ثم وجه يده للسيارة وألقى العُقب على الزُجاج، ليرتطم به ويتحول لمئات الحشرات الزاحفة والطائرة.

«سامحيني، سأرحل...سأرحل!» قالتها الشيطانة الرمادية، «وأنا أيضًا، لن أقوى على مواجهته سيدتي» عقبت العجوز على كلمات الشيطانة، ثم اختفتَ كلتاهما من مرايا السيارة تاركين تميمة وهي تتطلع في رُعب لكم الحشرات الذي كان يتحرك على جسد السيارة مغطيًا إياها بالكامل. في تلك اللحظة قد شعرت بشيء لم تشعر به منذ سنواتٍ عديدة، وهو الخوف، الشعور نفسه الفاني بانعدام القوة والسيطرة، أصبح حالها كحال كُل البشر الذينَ قد أنقذتهم من قبل، هل بسبب وجودها لأول مرة في حضرة ملك من ملوك شياطين العهد القديم؟ أم أن أمتيها الاثنتين قد غدرتا بها وهربتا تاركين إياها لتخوض تلك التجربة المفزعة بمفردها؟

وفورًا، تناست تميمة كُل تلك الأفكار بمجرد أن شعرت

بالسيارة وهي ترتفع في الهواء، وشكلت الحشرات دوامة تدور بسرعة رهيبة حول السيارة كمروحة الطائرات العمودية. حاولت أن تتلو الصلوات والتعاويذ، ولكن بلا فائدة، تجردت تمامًا من قواها. ظلت السيارة ترتفع وترتفع حتى ابتعدت مسافة كافية عن الأرض، كفيلة بموتها في حالة سقوطها من ذلك الارتفاع.

ثم حدث ما كانت تتوجس خيفة من حدوثه، سقطت السيارة بعدما انقشعت كُل الحشرات واختفت فجأة من حولها، صرخت تميمة وهي تسقط بسرعة نحو الأرض، صرخت كأي فتاة بائسة لا حول لها ولا قوة. ولكنها لم ترتطم بالأرض، ثبتت السيارة في الهواء قبل أن تصل للأرض الإسفلتية ببضعة أمتار، فتحت الفتاة النّافذة فور أن شعرت بصوت تمتمة يحول الزجاج بينه وبينها لتسمع صوتًا أنثويًا واضحًا وقويًا قادمًا من سيدة ترتدي عباءة سوداء منقوش عليها نجوم تضوي بلون فضي لامع، كانت ترفع يديها المتوهجتين بلون أزرق قوي مشيرة بهما للسيارة التي قامت بمنعها عن الاصطدام بالأرض، كانت تتمتم بكلمات قوية موجهة بشكل صريخ للكائن الذي كان يتألم كلما كانت تردد تلك الكلمات، «ريكوشتالونا، انفرينيزيو بِلزيباب»، ظلت تردد تلك الكلمات بلغةٍ غير مفهومة بينما شاهدت تميمة ملك الذباب وهو يتألم ويصرخ بصوت أشبه بأزيز مجموعة من

الحشرات دُفعة واحدة، إلى أن انشقت الأرض أسفل قدميه متوهجة بلون أحمر مُشع، والتفت الحشرات التي كانت تغطي السيارة بأكملها من حوله مشكلين إعصارًا في منتهى السرعة، وهبطوا جميعًا بداخل الصدع الأرضي فأغلق الأخير بسرعة ليعود كُل شيء مثلما كان.

وكان ذلك هو المشهد الأخير الذي رأته تميمة، قبل أن تخور قواها ... وتفقد الوعي تمامًا.

***

وقف الأب حاملًا سيفًا مشتعلًا نصله بلهب أزرق، يلوح به أمام كائنات حمراء الأعينِ تصدر خوارًا مُرعبًا. بينما كانت الأم تقف معطية ظهرها له وهي تتمتم بكلمات بلغة غير مفهومة، فاشتعلت شعيرات رأسها بنيران حمراء، وتلك النيران نفسها خرجت من يديها بقوة تجاه تلك المخلوقات لتصيبهم فينفجروا فور ملامستهم لتلك القذائف المشتعلة. وفي المُنتصف بينهما على الأرض العشبية، كانت هناك فتاة رضيعة مغطاة برداء أبيض تبكي من الخوف. كان الأبوان يحاولان التصدي لهجوم شرس قد شُنَّ على الفتاة الرضيعة بالتحديد، مشهد مفزع للأب والأم وهما يحاولان باستماتة صد ذلك الهجوم اللانهائيّ، فكلما قطع الأب رأس أحدهم أو أحرقت الأم الآخر، كان ينبث من الأرض كائنات أخرى

بسرعة جنونية.

وحين جاءت اللحظة الأخيرة ليعلن اليأس انتصاره في تلك المعركة، تقبل الأب والأم الواقع المرير بالهزيمة، واقتربا من الأرض واحتضنا الفتاة. بكت الأم بكاءً يحمل مشاعر مختلفة بين الغضب بسبب هزيمتها من تلك الكائنات اللانهائيّ عددها، وبين خوفها على ابنتها التي لا تعلم ماذا سيكون مصيرها، في حال موتها هي والأب. بينما كان الأخير، ينظر للأم بحنان ليطمئنها عما سيحدُث. لم يدرِ ماذا ستكون النهاية بالتحديد، ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه، أن ما هو آتٍ سيكون في منتهى الألم.

إلى أن حدث عكس المتوقع، توقفت الطفلة عن البكاء، وفتحت عينيها اللتين تحولتا إلى اللون الأبيض المشع، ثم صرخت صرخة مُرعبة هي خليط من صوت طفلة مرتعدة وصوت كائن شيطانيّ من الجحيم. وفي ثوانٍ قليلة، حدث انفجار مدويّ امتد لمسافة الكيلومترات، أفنى في طريقه كل مظاهر الحياة من حشائش، وبشر... وشياطين.

***

استيقظت تميمة من نومها وهي تصرخ، فتحت عينيها المبيضتين اللتين توهجتا بشكل رهيب مما جعل إربيا تضع يدها على عينيها، خشيةً أن تُصاب بالعمى، ثم وضعت

يدها الأخرى على جبين تميمة، وقالت بصوت عالٍ: «عودي من حيثُ أتيتِ يا رؤى الماضي، بحق ديكاروسان، دافن الذكريات»، فتوقفت تميمة عن الصُراخ، وعادت عيناها إلى طبيعتها الزرقاء الجميلة. نظرت في خوف لـ إربيا وقالت: «من أنتِ؟ وكيف جئتُ لهذا المكان؟»، ثم استقامت في مجلسها على طاولة الاجتماعات الكبيرة بالقاعة الخفية أسفل قلعة «قايت-باي»وظلت تتفحص الجدران المنقوشة، والسيدات اللائي كن يقفن أمامها في شكل مستدير، يتفحصن حالتها الجسدية في تأهب وخوف.

وضعت إربيا يدها على كتف تميمة ثم قالت لها بحنان: «اهدأي يا ابنتي، اهدأي وسأقُص عليكِ كُل شيء»، أمسكت تميمة برأسها من شدة الألم حين قفز ذلك الكائن المدعو بـملك الذباب، ثم قالت لتميمة وهي تصرُخ: «أخرجيه من عقلي، لا أريد أن أراه!»، فوضعت إربيا يدها فوق رأسها وقالت: «سيت فلاما كونسيوميت فوس، مالوم ميموريا»، فهدأت تميمة فورًا، وتنفست الصعداء ثم قالت: «ما هذا الشيء؟»، فأجابتها إربيا: «بعزبول، بيلزباب، ملك الذُباب... جميعها أسماء تُطلق على ذلك الشيطان من العهد القديم، هو من ضمن ملوك الشياطين الثمانية، وله القدرة على التحكم في الحشرات والتشكُل لهيئتها...قد أُرسَل إليكِ لاصطيادك يا ابنتي».

نهضت تميمة في خوف وهي تلتفت يمينًا ويسارًا، وتوجهت للجدران المزخرفة وتفحصتها عن قُرب وهي تُمسك برأسها الذي كاد أن ينفجر من شدة الألم، بينما كانت الساحرات يبتعدن عن مرماها ببطء وخوف مما جعلها تتعجب من تصرفاتهن. ظلت تتحسس النقوش بيديها في انبهار ودهشة، ثم نظرت بتساؤل لـ إربيا التي ابتسمت وقالت لها: «هذا هو تاريخنا، مجتمع الساحرات البيضاء ومعاركهن مع قوى الشر»، وصلت إربيا للنقش العظيم للسيدة الباسطة يديها وهي تحمل شعلتين من اللهب الأبيض والأسود، ولكن ما لفت نظرها هو ذلك الرمز الذي كان يعلو رأس السيدة، الذي كان مماثلًا تمامًا لعلامة الولادة على يدها.

توجهت إليها إربيا وقالت بحماس: «نعم، أنتِ تنتمين إلينا، بل أنتِ أعلى مقامًا منا جميعًا. أنتِ من نسل .....»، «هيكاتي، أنا من نسل هيكاتي، لقد حلمتُ كثيرًا بسيدة لها هيبة عظيمة، تقترب منّي في الحُلم باسطةً يديها بشعلتين من اللهب الأبيض والأسود، كانت تقول لي إنني من نسلها. وعندما كُنتُ أسألها عن هويتها كانت تقول إنّها تُدعى هيكاتي، أم الساحرات»، قالت تميمة تلك الكلمات قبل أن تومئ إربيا برأسها في حماسةٍ وتقول: «هناك من يترصد بكِ يا ابنتي للاستيلاء على قواكِ، شياطين العالم السفليّ

بقيادة سيدهم كانوا يخططون لمخطط شرير للإيقاع بكِ مُنذُ ولدتِ، ولكن والديكِ قد تصديا لهم. وحين فشلوا تمامًا وأوشكوا على الهزيمة، تفجرت قواكِ وأنتِ في المهد لتدمر الشياطين الذينَ كانوا يهاجموكم في أثناء هروب والديكِ بكِ»، قالت تميمة لـ إربيا والدموع تنساب من عينيها: «إذن، فكُل الرؤى التي رأيتها كانت لأمي وأبي وهما يحاولان إنقاذي ... وأنا قتلتهما يا سيدتي ... لقد قتلتهما مع باقي الشياطين عن غير عمد.»

ابتسمت إربيا واحتضنت الفتاة الباكية وقالت: «يا بنيتي، إن مقتلهما هو الهرب الوحيد من مصير يعد أسوأ من الموت بمراحل. فلو كان قد استحوذ عليهما ملك الظلام في ذلك اليوم، لكنتم واجهتم مصيرًا جحيميًّا كعبيد له في العالم السفليّ، تخدمونه هو وجنوده ... صدقيني، الموت هو الملاذ الوحيد في مثل تلك المواقف. أنتِ لديكِ القدرة على إحلال الظلام على عالمنا، وأيضًا تحملين ضياء الخير الأبيض بين يديكِ وبداخل قلبك، تمامًا كأمنا العظيمة هيكاتي. فتاة بمثل هذه القوة العظيمة تمثل مطمعًا لأبناء الشيطان، ليتحرروا وقتما شاءوا من لعنتهم الأبدية بالمكوث في الجحيم.. ألم تسألي نفسكِ كيف لكِ أن تقومي بتسخير تلك الشيطانة الرمادية وأختها الساحرة المُظلمة؟»، سكتت تميمة للحظات، ثم قصت على إربيا حكايتها مع الأختين:

- مُنَذ فتحتُ عينياي على الدُنيا وأدركتُ بعض الأمور من حولي وأنا لا أعلم أي مكان سوى ملجأ الفتيات، كان كُل شيء يسير ببساطة من مأكل وملبس، دروس واستذكار، حتى بلغت الحادية عشر، وقتها بدأت في سماع أصوات خبيثة تتسلل لداخل عقلي وأنا نائمة، إلى أن حدث ذات يومٍ ورأيتهما في مرايا الحمام، تنظران لي من خلالها وتبتسمان، كُنتُ أقضي العديد من الليالي وأنا أختبئ أسفل الأغطية ليلًا، كانتا تهمسان باسمي همسًا مُخيفًا، حتى تطور الأمر لمحاولات لإيذائي عدة مرات، ولكن في كُل مرة كانتا تقتربان مني، كان يوجد ما يمنعهما بشكل رهيب، في أحد الأيام، زحفت الرمادية تجاه سريري، وحين بدأت في البُكاء، وجدتها تتألم وتصرُخ كلما علا صوت بكائي. وعندما كبرت قليلًا، تطورت قدراتي وتحولت واستطعت فرض سيطرتي عليهما، فتقبلتا الأمر الواقع بخدمتي ... كُل هذا ... ولم أعلم كيف لي أن أحظى بتلك القوى.

نظرت لها إربيا بفخر، ثم قالت: «هيكاتي، هي السبب في تلك القوى العظيمة...هُناك من يقضي حياته في الصلوات والتعاويذ لاستحضار قوتها لمجرد الحصول على جزء بسيط من قواها، وهناك من انحدرت أصوله من نسلها ... مثلكِ يا تميمة. تلك القوى تكمن بداخلك بالفطرة، قوى طاهرة كما

كانت تمتلك أمنا العظيمة، لها قدرة عجيبة على إخضاع مخلوقات العالم السفليّ، بالإضافة للحكمة والخير في منع الأذى عن بني البشر ... والآن، يجب أن أخبركِ عن سبب هجوم أبناء الجحيم عليكم في ذلك اليوم».

اصطحبتها من يدها وتوجهت بها إلى النّافذة العظيمة التي كانت تطل على قمر دمويّ داكن اللون، فأشارت بيدها تجاهه وقالت: «القمر الدمويّ، يُعد من أهم الدلائل على فتح بوابات العالم السفليّ ... والسبب؟ ... أختان أشد شرًا من اللتين سخرتِهما. جاءتا من قرية يغلب عليها البؤس والفقر، حاولتا بكل الطُرق أن تحتالا على الأهالي والجيران بعمل الألاعيب السحرية الساذجة. وعندما اكتشف الأهالي مخططهما في الاستيلاء على أموالهم، فطردوهما من القرية بتهمة الشعوذة والدجل. فنزحتا من الريف لمدينتنا، مدينة الإسكندر الأكبر. سكنتا في شقة حقيرة يغلب عليها العفن والنجاسة كبيئة خصبة للصلاة الشيطانية لسيد الجحيم، حاولتا عدة مرات أن تقوما بجلسات تحضيره طمعًا في الأموال والسلطة في مقابل الولاء الأبديّ له. وحين فشلتا تمامًا، وقررتا اصطياد إحدى النساء المسكينات وشق عنقها، ظهر لهما سيد الظلام معلنًا عن مدى سعادته بهما ووعدهما بالأموال والسلطة وأيضًا مكانة خاصة في العالم السفليّ، في مقابل سبعة عشرة روحًا، لسبع عشرة فتاة مسكينة».

عقدت تميمة ذراعيها وقالت وهي تفكر: «ريا وسكينة»، أومأت إربيا برأسها، فأكملت تميمة قائلة: «كنت أظن أن الموضوع بأكمله هو قضايا قتل بدافع السرقة. تاريخ تلك الحوادث يقول...»، قاطعتها إربيا قائلة: «نحنُ لا نعترف بتواريخها يا تميمة، نحنُ نحكم فقط على ما يحدُث في عالمهما الموازي، أي عالمنا»، هزت تميمة رأسها مشيرة لـ إربيا بأن تكمل كلامها، فقالت الأخيرة: «لم يقدر ملك الظلام على الدخول لعالمنا بشكل كامل للاستيلاء عليكِ مُنذُ سبعة وثمانون عام، فلجأ لتلك الطريقة القذرة عن طريق الإيقاع تلك الشعيرة المحرمة التي قامتا بها تسمى بـ«حصاد السبعة عشر»؛ يشرع أتباع الشيطان بتقديم ترضية له طمعًا في الأموال والسُلطة، والترضية تكمن في قتل سبع عشرة امرأة حتى يحصد الشيطان أرواحهن. ما إن يتملك سيد الظلام من تلك الأرواح، ستزداد قواه بشكل مُفزع ولن يقدر أحد على ردعه أبدًا، وهذا ما كان يسعى إليه تحديدًا ليتمكن من الفتك بكِ ويمتلك قوتكِ بعد أن يمتص روحكِ ليدنسها في العالم السفليّ كإحدى الإماء. ولكنه لم يقدر على تنفيذ الخطة بشكل كامل نظرًا لأن القمر الدمويّ –وأشارت للنافذة القمرية– قد انتهى موعد ظهوره في اليوم نفسه الذي نُفذت فيه آخر خطوات شعيرة «حصاد السبعة عشر». والآن، وبعد مرور الكثير من السنوات، قد ظهر القمر الدمويّ

مرة أخرى وفتحت أبواب العالم السفليّ مطلقةً سراح تلك الكائنات ليقوموا بمهمة اصطيادكِ. تلك البوابات تطلق على عالم البشر كائنات مفزعة تلتهمهم وتثير الخوف والفزع في مدينة الإسكندر الأكبر. وإن لم ننهِ الموضوع سريعًا، سينتقل الجحيم ليسكُن عالمهم الذي أقسمنا على حمايته، وسيسقط الكثير من الأبرياء الذينَ كانوا مثلك تمامًا، يسيرون في طريق الخير دون الطمع في أي مكاسب»، ثم أشاحت بوجهها تجاه تلك البقعة التي كانت تتوهج وتتلألأ في منتصف أرض القاعة، ونظرت لها وهي تذرف وتنتحب. تلك البقعة التي وقفت عليها زيرا وهي تحارب الموت الذي استسلمت له في النهاية، على يد الساقط من السماء.

اقتربت منها تميمة، وسألت: «ما المطلوب مني وأنا على أتم الاستعداد لتنفيذه؟»، مسحت إربيا عينيها وأجابتها: «علينا أن ننهي اللعنة. يجب أن نمحي وجود الأختين من العالم، ونصد هجمات المُخلد ليوم البعث حتى ينال ما ينتظره حين يشاء القدر. ولكن أولًا، يجب أن نفتح بوابات قوتكِ الكامنة بداخلك لآخرها، لتتجسد فيكِ روح العظيمة هيكاتي...سنقوم بما يسمى مراسم التتويج الإلهيّ»

***

-٧-

١٩٢١....(القربان السابع عشر)

تجمع الأربعة حول تلك الفتاة المرتعدة، التي كانت ممددة على الأرض بداخل رمز الشيطان بعد أنا قام الكائن المسمى عبدالعال والآخر حسب الله بتقييد يديها ورجليها بحبال غليظة وثبتوها بأوتاد حديدية مغروزة في الأرضية القذرة. اقتربت ريا منها ونزعت عنها ثيابها بالكامل، فصرخت الفتاة وهي تبكي وتتوسل إليهم بأن يتوقفوا، ثم أخذت القبيحة تخرج نصلًا صغيرًا من الحزام الملتف حول خصرها، وجرحت راحة يدها بالنصل لتنساب دماؤها فوق بطن الفتاة المسكينة، ثم مدت سكينة يدها إليها لتشرع ريا بجرح يدها هي الأخرى لتتساقط دماؤها فوق دماء أختها.

اقتربت ريا من الفتاة وخلطت دماءها ودماء أختها فوق بطن الفتاة بيدها، ثم مدت إصبعها، ورسمت نجمة خماسية بالدماء على بطنها. كل ذلك، بينما كان الزوجان يتمتمان بأصواتٍ غليظة مرعبة بكلمات غير مفهومة مضيفين المزيد من التوتر والرعب لتلك الأجواء الشيطانية. مدت سكينة يدها لحقيبة قماشية مهترئة، وأخرجت منها خنجرًا أسود المقبض، فضيّ النصل، منقوش عليه نقشات غريبة مصحوبة بحروف غير مفهوم لغتها. ثم وقفت الأختان على

يمين ويسار الفتاة، تقابل كلتاهما وجه الأخرى، بينما كانت المسكينة تستحلفهما بالله أن يتركاها تعيش من أجل أمها الكفيفة التي تستند إليها في أيامها الأخيرة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

مدت سكينة يدها بالخنجر لـ ريا ثم ابتسمت ابتسامة خبيثة وقالت: «هيا يا أختي الغالية، إنّه دوركِ اليوم لتنالي هذا الشرف»، فضحكت ريا الملعونة وأجابتها: «ما رأيكِ يا أختي أن نتشارك القربان معًا اليوم؟ ضربة واحدة، وشرف نناله معًا»، تحمست سكينة بشكل طفوليّ يتعارض مع تركيبتها الشيطانية، فأمسكتَ الأختان بمقبض الخنجر، ثم صرختا بصوتٍ عالٍ: «من أجلك يا سيد العالم السفليّ، اقبل منا تلك الروح الدنسة لتُطهرها بنيران الجحيم».

وما هي إلا ضربة واحدة موجهة لصدر الفتاة المسكينة نفذت مباشرةً حتى منتصف الخنجر في قلبها، فشهقت الفتاة من ألمٍ شديد لم يستغرق إلا ثانية واحدة، ولفظت نفسها الأخير. وكالمرات السابقة، تسللت هالة بيضاء من جثة الفتاة واستقرت فوقها مباشرةً، فخرجت من الرمز المرسوم على الأرض أياد ثعبانية سوداء اللون، أمسكت بالهالة البيضاء، التي تحولت فور ملامسة الأيادي لها لملامح الفتاة القتيلة نفسها. فالتفت الأيادي حول جسدها المتوهج فصرخت

صرخة ألم مغايرة تمامًا لصرخة جثمانها إثر طعنة الخنجر وقالت بصوت مُرعب: «ارحموني!». وعلى الفور، سحبتها الأيادي الثعبانية أسفل الأرض، لتعود بها لأعماق الجحيم.

«عبد العال، حسب الله!»، قالتها سكينة بحزم شديد لشبيهيّ البشر الواقفين في انتظار الأوامر، فانشق وجههما عند جنبات الفم، وتراجع الجلد البشريّ ليكشف عن وجهين مفزعين لغولين بأنياب كالضواري، ثم اقتربا الاثنان وركعا جانب جسد الفتاة المسكينة، ليفتحا فمهما بشكل يتعارض تمامًا مع طبيعة فكوك أي كائن حي، والتهما لحمها تمامًا تاركين فقط هيكلها العظمي فقط. قالت ريا في غضب: «أنا لا أريد أن أعود للمنزل الآخر، لم أعد أتحمل النوم فوق تلك الجثامين المتعفنة المدفونة أسفلنا... لماذا لم تقوما بأكل لحمهن أيضًا أيها الغيبان!» ووجهت كلماتها للزوجين، فوضعت سكينة يدها على كتفها وقالت بنعومة: «اهدأي يا أختي ولا تقسي عليهما، فهما الأُنسِ والمجلس وقت الوحدة، ولا يجب أن نعكر صفوهما»، وتوجهت لأحدهما واحتضنته في مشهد رومانسيّ بشع، فكسا اللحم وجهه وعادت ملامحه البشرية مرة أخرى، ملامح عبدالعال.

التفت الجميع لصوت سائل يتدفق من خلفهم، فوجدوا بقعة من القطران في منتصف الرمز الشيطانيّ، تحديدًا بين

السيقان العظمية للهيكل الممدد على الأرض، ثم خرج من بقعة القطران قرنان صغيران تبعتهما بداية رأس حمراء اللون كالدماء، ثم ظهر أخيرًا وجه الملعون وهو يبتسم ابتسامة سعادة مُرعبة بشكل لا يوصف، وتوقف عن الخروج من بقعة القطران حين ظهر جسده للحاضرين حتى منتصف صدره. تنهد الكريه وقال بصوت أجش: «اليوم أباركَكما يا ابنتيّ، لقد نفذتما شروط العهد الذي بيننا. لم يخب ظني أبدًا في جنودي الذي أختارهم بعناية، ولكن أنتما من الحالات الخاصة والمبهرة للغاية». ابتسمت الأختان في بلاهة، ثم سجدتا للمخلوق سجدة مطولة تحمل في طياتها مشاعر الامتنان والحُب لكلماته الخبيثة المعسولة. رفعت سكينة وجهها ونظرت إليه وقالت: «الآن نحنُ نستحق مكافأتنا التي وعدتنا بها يا سيدنا وسيد الجميع، حقق أحلامنا يا مولاي أرجوك»، فضحك الخبيث ضحكة مدوية، ثم أجابها: «لكُل شيء قدر ووقت محدد يا ابنتي، وقدركما لم يأتِ ميعاده بعد، ستنالان القوة المُطلقة في الحياة الأخرى، ولذلك...يجب أن تضحيا بحياتكما الأولى».

كانت قد أوشكت ريا على سؤاله عما يقصده، حين قطع حبل أفكارها أصوات طرق على باب الشقة كادت أن تخلعه من مكانه، فنظرت سكينة للشيطان وقالت: «لقد كُشف أمرنا، سيقتلاننا»، «افتحوا الباب فورًا وإلا هدمنا المنزل فوق

رأسيكما!»، قالها أحد الرجال الذين تعالت أصواتهم من خلف الباب. ابتسم الشيطان للأختين وقال: «استسلموا للقدر يا ابنتيّ الصغيرتين، دعيا كل شيء يسير كما هو مقدر له ولا تخافا مما سيحدث، أنا لا أزال عند وعدي، سنحكم معًا العالم السفليّ وستنعمان بخيرات لم تتخيلاها قط»، ارتعشت ساقا ريا والتفتت لتنظر لـعبد العال وحسب الله لتجد جسديهما يضمحلان تدريجيًا ويتحولان لبقعتين من القطران، وانسابا من بين سيقان الأختين وامتصتهما الأرض فورًا، فقالت ريا في فزع: «كيف لنا أن نواجه ما سيحدث بمفردنا؟ ثم ... أين القوى التي وهبتنا إياها؟ أنا لا أشعر بها في جسدي!»، ظلت سكينة تتحسس جسدها بسذاجة، غير مبالية لأصوات الطرق الصاخبة على باب الشقة، ثم بكت في فزع وقالت: «أنا أيضًا، لا أشعر بها في جسدي»، فنظر لها الشيطان برأسه الذي كان قد أوشك على الاختفاء مع باقي جسده في أرضية المنزل وقال في حزم: «قلت لكما ألا تخافا، سنتقابل لنحكم بعد نهايتكما ... لن أتخلى عنكما أبدًا»، وبينما كانت الأرض تبتلعه، زاد الطرق على الباب بشكل رهيب، فرجعت الأختان للوراء ليلتصق ظهرهما بالحائط، ثم جلستا في فزع محتضنتين بعضهما البعض، لتفاجئا بالباب وهو ينخلع من مكانه.

دلف إلى الشقة عشرات الرجال من أهالي المنطقة

بصحبة بعض من رجال الشرطة حاملين المشاعل والعصي، فابتسمت سكينة وقالت بثقة بينما الدموع تنهمرُ من عينيها جراء ما هو على وشك الحدوث: «غدًا نلقاكم، جالبين معنا الفزع والخراب»، فانهال الرجال على رأسيهما بالعصي، وكالوا لهما اللكمات في غضب شديد دون أن يستطيع أحد من عناصر الشرطة تخليص الأختين منهم، ثم حملوهما وخرجوا بهما للشارع ليراهما الجميع وليطمئنا أن ذلك الكابوس الذي أرعب المدينة وخاصة قاطني الحي قد انتهى، بينما كان رد فعل الأختين هو ضحكات هيستيريا مرعبة، لا تعبر أبدًا عن مصيرهما المُظلم بالإعدام نظير تلك الجرائم البشعة.

وعلى مسافة بضعة أمتار، فوق سطح أحد المنازل، كان هناك بعض الأطفال الواقفين غير مبالين بما يحدث في الشارع، ينظرون بدهشة للقمر المكتمل أحمر اللون، وهو يعود تدريجيًا لطبيعته السابقة بلونه الفضي المتلألئ، فهللوا واحدًا تلو الآخر وقرعوا على طبول صنعوها من بقايا الخشب ليخبروا الجميع أن القمر قد عاد كما كان ... غير مدركين أنها مسألة وقت، حتى يأتي اليوم الملعون لتعود كُل أشكال الفزع مرة أخرى.

***

-٨-

جلست تميمة تتأمل البحر من فوق سور القلعة، تابعت أحد الصيادين برفقة ولد صغير وهو يرمي الشِبَاك من مركب متواضعة يضيئها مصباح ضعيف، في محاولة لتأمين طعام الغد له ولولده. كان الرجل يعطي للولد الصغير تعليمات عن كيفية إمساك الشبكة بالشكل الصحيح وإخراجها من المياه في حال أن حن القدر عليهما وأعطاهما ما يتمنياه. ابتسمت تميمة في حُزن حين تذكرت والديها وهي تشاهد الصياد وابنه، فكرت في كونها بمفردها في تلك الحياة البائسة، تصارع شياطين ومسوخًا، وتتغلب على كونها منبوذة، تتجول بمفردها من مكان لآخر دون أن يطمئن عليها أحد، شعرت بالحزن أكثر حين فكرت في حال قد تعرضت للقتل ولم يكن هناك من يستدل عليها أو ينسبها لأحد، وبدأت الدموع تنهمر من عينيها كالسيول، فمسحتها بيديها سريعًا حين سمعت صوت من يقترب من خلفها.

«أقرأ الكثير بداخل عقلكِ يا صغيرتي»، قالتها إربيا وهي تجلس بجوار تميمة، ثم نظرت للبحر هي الأخرى وأكملت قائلةً: «جُبت البلاد من شرقها لغربها، عِشت مئات السنوات بينما كان يموت كُل من أحببتُ، عاصرت جيوشًا وحضارات، إمبراطوريات تُبنى وأخرى تُهدم وتفنى. لا أخفي عليكِ سرًا،

شعرتُ بالوحدة في كثير من الأوقات رغم أنني لم أخلُ من صحبة المتدربات من الفتيات اللائي تمتعن بقوى تستحق التأمُل، حزنتُ كثيرًا حين شاهدت بعضهن يسلمن أنفسهن للجانب المُظلم غير مُبالين بالعواقب، وشعرتُ بالسعادة حين شاهدت بعضهن الآخر يسمون ويرتقين، ويصبحن من أشهر الساحرات في عالمنا ... ولكن كان يوجد ذلك الشعور القوي الذي أغناني عن كُل شيء، في كُل مرة أشعر فيها بالضعف في تلك المواقف من الفقد والحُزن ... ذلك الشعور هو المسؤولية، الواجب المُطلق لحفظ التوازن بين عالمي الظلام والنور ... يا ابنتي، ليس بأيدينا شيء نفعله في تلك الأيام سوى تلبية نداء الواجب، فلن يجلب البُكاء على الماضي من رحلوا وتركونا».

التفتت لها تميمة وقالت لها في ضيق «لم أختر ذلك القدر، وتمنيت كثيرًا أن تزول مني تلك القوى، ما النفع مما أملك وأنا غير قادرة على تدمير ذلك الشعور القاتل بالوحدة؟ أنتِ لن تعلمي طبيعة ما أشعرُ به مهما استطعتِ قراءة أفكاري»، ابتسمت إربيا وقالت: «ولم لا تفكري فيما حدث من منظور آخر؟ لقد ظهرت قواكِ في ذلك اليوم لتدمر شياطين الجحيم وتضحي بوالديكِ معطيةً للعالم فرصة جيدة للنجاة، مرت الأيام والسنون وشاء القدر أن أجدكِ لتخلصينا من معركة مؤكد حتمية حدوثها، كانت ستكون نهايتها الدمار

والخراب». صمتت تميمة قليلًا وهي تفكر في كلمات إربيا، ثم قالت لها في دهشةٍ: «كيف وجدتيني؟»، نظرت لها إربيا وقالت لها بطريقة تشجيعية: «في مثل تلك الظروف، طاقة الشر والظلام تكُون في منتهى القوة، أستطيع الشعور بها ولو على بعد أميال، كذلك طاقة الخير العظيمة التي تمتلكينها، لم يكُن من الصعب مطلقًا أن أجد شعلةً من النور وسط كهف مظلم يغلب عليه البؤس والدمار»، تغيرت ملامح تميمة وقالت في خوف: «ولكن تقولين أن هيكاتي تمتلك قوة التوازن بين الظلام والنور، ماذا سيحدُث إن تملك مني الشيطان وأعوانه، وبدأوا بتعزيز الجانب المُظلم مني ... ماذا سيكون مصيري؟»

أجابتها إربيا بقوة: «لن يحدُث، أنتِ من نسلها النقيّ العظيم، وما تتمتع به من حكمة قد انتقل إليكِ مُباشرةً... تميمة، لا تخافي مما سيحدث...هم من عليهم أن يخافوا منكِ!»

***

لم يدرِ تحديدًا كم من الوقت مرَّ وهو يسقط، ظل يصرُخ من الخوف والفزع بينما كان يرى وجوهًا لمسوخ مُرعبة تزين جُدران تلك البئر السحيقة التي كان يهوي بداخلها دون أن يصل لنهايتها، مرت ثوانٍ، ودقائق، وربما ساعات ولا يزال

جسده يهوي بسرعة رهيبة، وبعد أن صرخ مدة طويلة من الوقت، لم تستطع حنجرته المقاومة أكثر من ذلك، فاختفى صوته تمامًا. تخبط في الكثير من الأشياء في أثناء رحلة سقوطه للأسفل، والغريب أنه لم يشعرْ بأي ألم رغم قوة اصطدامه بأشياء كجذوع الأشجار والنتوءات الصخرية، إلى أن وصل أخيرًا إلى نهاية تلك البئر، ليجد نفسه يهوي من أعلى كهف تبلغ مساحته العالم بأكمله من منظوره اليائس، اقترب بسرعة من سائل أحمر يغلي من شدة سخونته، ثم ارتطم جسده به بشدة إلى الحد الذي جعله قد ارتد في الهواء مسافة مترين، ثم انتهى كل شيء بابتلاعه بداخل تلك الحمم ... ولكن في تلك اللحظة تحديدًا ... شعر لأول مرة مُنذُ سقوطه بآلام مبرحة جعلته يفتح فاهه من الصدمة دون القدرة على قول أي شيء، بينما كانت الحمم تبتلع جسده، وذراعه ممتدة للأمام، تستغيث بكائن يجلس على عرش ضخم مزين بجماجم بشرية، ينظر له وهو يبتسم، ثم لوح له مودعًا إياه في سخرية، بينما كان جسده يختفي داخل الحممم الملتهبة.

«اخترتم قدركم بأنفسكم ولا تزال تلك الدهشة الغبية تعلو وجوهكم في كل مرة يبتلع المُطهر أرواحكم القذرة، وكأني لم أقر عليكم شروط العهد ... ها ... كائنات تفتقر للكثير، ولا تصلُح لأكثر من كونها وقودًا لعالمي»، ثم سمع شيئًا يزحف

من خلفه على أربع كالعناكب إلا أنه لم يكُن عنكبوتًا. كان جسد أنثى عارية مشوهة، عريضة الكتفين، ساقان طويلان بشكل مُبالغ فيه وكذلك الذراعان. تمتلك رأسين لامرأتين في منتهى القباحة، توأم ملتصق يتشارك كُل شيء إلا الملامح المُرعبة، فلا تدرِ أيهما أكثر فزعًا من الأخرى. شعر رأسيهما مُحترق بالكامل فيما عدا بعض الشعيرات القليلة، عينان حمراوان كلون الجحيم الذي يحكمه سيدهما الجالس على العرش المزين بجماجم ضحاياه. تحدث أحد الرأسين لذلك الكائن بتركيبه الجسماني غير المفهوم وقال لسيده: «ألم يحن الوقت يا سيدنا؟ لقد طالت مدة الانتظار ولم يتحقق أي شي ... لقد مللت من ذلك السجن القبيح الذي أتشاركه مع أختي الأكثر قباحة»، فإذا بالرأس الآخر يضرب جبهته في جبهتها ويقول: «بل أنا من تحملتك وتحملت رائحتك القذرة المتعفنة»، وأمسك الذراعان برقبة الأختين وتصارعتا لمدة ثوانٍ قليلة قبل أن ينهض الشيطان من على عرشه ويفرد جناحيه العملاقين، وتتفتح عشرات العيون المرعبة المزينة لجناحيه، ويقول بغضب: «اصمتا!، وإلا أقسم بالجحيم أن أحرقكما بنيرانه»، ثم صمت فجأة، وأغمض عينيه لثواني، ثم فتحهما ففزعت الأختان من لونهما الأسود، وردد قائلًا: «إيشماخ-لوبريناتا-رومال، إيشماخ-لوبريناتا –إيدال»، فخرج من نهر الحمم في الخلفية ذراعان طويلان مشتعلان،

زحفا على الأرض حتى أصبحا يحولان بينه وبين الأختين، ثم تشابكت أيدهما مشكلين دائرة كبيرة، وامتلأت الدائرة بضباب أسود، وانقشع فجأة ليبين مشاهد سريعة من أزمنة متعددة؛ لطفلة صغيرة تحرق جموع من الشياطين بقوتها المتفجرة، وفتاة تتحدث معها كيانات تسكن المرايا، ثم مشهد للفتاة نفسها وهي ترسل شيطانة مجنحة لأعماق الجحيم من فوق جسر للمشاة». انقشع الضباب، وعاد الذراعان يغطسان في الحمم مرة أخرى، تاركين ملك الجحيم في حالة من الغضب العارم، مما جعل التوأم المشوه يزحف للخلف ويختبئ خلف أحد الصخور المُشتعلة، ثم نظر له في قلق وقال بصوت خبيث: «نرى أنك قد تحملت ما يكفي من سخافات تلك الفتاة وعشيرة الساحرات الملتفات حولها، وجب علينا أن ننفذ ما تمنيت يا سيدنا، خاصةً بعدما أنعمت علينا بأن نكون في كنفك ها هنا في أعماق الجحيم»، ابتسم الكائن، ثم ضحك ضحكة هستيرية، ومد يده للأمام وضم أصابعه فيما عدا السبابة والوسطى ثم أشار بهما في الهواء لأعلى، فارتفع الجسد مزدوج الرأس في الهواء، واقترب ببطء من سيد الظلام، فنظر للأختين المرتعدتين بغضب شديد، ثم قال: «لا تمارسا ألاعيبي عليّ أيتها الحقيرتان، حين أقرر بمحض إرادتي أن نهجم هجمتنا، سأفعل. فيما عدا ذلك، لا أريد أي عاهرة منكما أن تدلو بدلوها

التافه فيما يخص قراراتي»، ثم أشار بإصبعيه بعيدًا فطار الجسد المشوه للأختين وسقط على الأرض بقوة، فقامَ وسجدَ لسيده معتذرًا له.

التفت الشيطان لينظُر للفوهة العظيمة التي سقطت منها روح الرجل البائس وقال: «ها قد جاءت الهدية»، فوجد أذرع سوداء طويلة كالثعابين، تهبط سريعًا من الفوهة، تمسك بامرأة ترتدي عباءة سوداء مزينة بنقوش فضية، تحمل على وجهها ملامح مُتعبة مُرهقة، لم تتحمل أيضًا سخونة المكان فصرخت بشدة حين اقتربت من الحمم البركانية، حتى أوصلتها الأذرع لمكان وقوف الشيطان وألقتها تحت قدميه، نظر لها وقال بحنان ثعبانيّ: «تلك هي المرة الأولى التي أستضيف فيها إحداكما في مملكتي، أعلم أن الجو حار قليلًا هنا، ولكن يبدو أنكِ لا زلتِ تتمتعين بالقوة الكافية لتحمي نفسك ولو قليلًا من حرارة الجحيم»، ثم مد يده ليصافح الفتاة الجاثية على وجهها، فرفعت وجهها ببطء ونظرت ليده الحمراء ذات الأظافر الطويلة المفزعة، ثم نظرت في غضب، وبصقت في وجهه بصقة تبخرت في أقل من ثانية حين لامست جلده الأحمر، فابتسم في غضب وقال: «حسنًا، لنرَ إن كُنتِ ستستمرين على موقفك الحُر القويّ نفسه حين تتعرضين لما سأفعله بكِ»، ثم نظر للتوأم المزدوج وقال بحماسة ساخرة: «ريا، سكينة....رحبا بصديقتنا العزيزة،

الساحرة العظيمة، لوتارا!».

***

اجتمعت أربعة ساحرات من أعوان إربيا بصحبتها هي وتميمة فوق سطح القلعة، طلبت إربيا من تميمة أن تقف في منتصف الحلقة التي شكلوها جميعًا، فتقدمت تميمة وهي تتساءل عما سيحدث، ثم قالت إربيا: «الآن، سنقوم بالانتقال لمكان مناسب لإجراء مراسم التتويج الإلهي، يجب أن يكون المكان هادئًا تمامًا، على درجة عالية من السكون، ولم يقترب من أحد لفترة كافية من الوقت ... أظن أنني أعلم جيدًا أي مكان سيكون المناسب»، كانت علامات التردد واضحة تمامًا على جسد تميمة وملامحها، فقالت لها إربيا مطمئنةً إياها: «لا تقلقي، كُل شيء سيسير على ما يرام. وتحت أي ظرف، نحنُ بجانبك ولن نتخلى عنكِ، ثقي بي يا بنيتي» ثم أشارت بيدها لجموع الحاضرين من الساحرات الأخريات، اللائي كن يرتدين عباءات بيضاء، مزينة بنقوش سوداء، وقالت: «هؤلاء هن بناتي، ساحرات من الدرجة الثانية، مخضرمات بالشكل الكافي ليكُنَ بصحبتنا في ذلك اليوم المُنتظر، يملكن من القوة والحكمة ما يجعلنا جميعنا عصبة قوية، ولن يؤثر فينا أي شيء». كانت الساحرات يتمتمن بكلمات غير مفهومة، ثم رفعت إربيا يديها وقالت لـ تميمة: «مطلوب منكِ فقط أن تغمضي عينيكِ، وتدعي أفكاري وخواطري تنساب بداخل

عقلكِ ... يتوقف الانتقال بشكل كبير على مدى استعدادك، هل أنتِ مُستعدة؟»، ملأت تميمة صدرها بالهواء، ثم زفرته وكأنها تطرُد كُل الذكريات السيئة والأمور السلبية من حياتها دُفعة واحدة، ثم قالت في حماسةٍ وتركيز: «نعم يا سيدتي، أنا على أتم الاستعداد».

تنفست إربيا بدورها الصعداء أيضًا والتفت مع الساحرات الأربعة الأخريات حول تميمة مُشكلين دائرة، ثم قالت إربيا بصوت عالٍ: «اليوم هو اليوم الموعود، اللحظة الحاسمة في عالمنا وعالم البشر الفاني، نحنُ من كُلفن بحفظ التوازن بين عالم النور والظلام، سنسير معًا يا أخواتي في أكثر الطُرق المُظلمة نضيئها بشعلة الحكمة والقوة، غير مبالين أبدًا بما سيحدُث» علت أصوات التمتمات أكثر وأكثر، وعمت في الأجواء طاقة غريبة، زادت من حماسة تميمة، التي أغمضت عينيها، ليقفز في عقلها مشاهد سريعة لأماكن مختلفة غير مألوفة لها، ثم قام كُل من كان في التشكيل الدائري بوضع أيديهن على كتفها ورأسها، فتوهجت دائرة من الضوء الأبيض الفضي حولهن.

بيلار-كومانتير- انورال

ديلار-بولخانير-دامورال

تيمبوس-ريبتالو-ناروكال

رددت إربيا تلك الكلمات بصوتٍ عالٍ، فَعَلَت أصوات الساحرات بالتمتمات أكثر وأكثر، وظلت أصواتهن جميعًا تعلو بتمتمات الساحرات تارة، وترديد إربيا لتلك الكلمات تارةً أخرى، التي كان من الواضح أن تأثيرها السحري قوي جدًا، نظرًا لشعور تميمة بألم شديد في رأسها كلما انسابت تلك الكلمات داخل أذنيها.

ظلت المشاهد السريعة للأماكن المجهولة تمُر داخل عقل تميمة، إلى أن وقع الاختيار على مشهد واحد فقط؛ مكان كحلبات المصارعة في عهد الرومان، يشبه حدوة الحِصان في تكوينه، مكون من عدة صفوف من الدرجات، تحيط بساحة بيضاوية يمتد أمامها ممر ينتهي بمدخل، في نهايته بوابة حديدية صدئة. ظل مشهد المكان يهتز بقوة داخل عقل تميمة وكأنه يحاول الهرب من مخيلتها بلا فائدة. صرخت إربيا بقوة قائلةً: «الآن!»، فرفعن أيديهن جميعًا من على جسد تميمة وباعدن بينهن، ثم صفقن صفقة واحدة فقط، فتوهجت الدائرة البيضاء الملتفة أكثر وأكثر، وارتفعت لتحجبهن عن باقي المساحة المحيطة بهن، ثم انقشع الضوء فجأة مصحوبًا بصوت فرقعة عالية، واختفين جميعًا، تاركين سحابة من الدخان الأبيض، المتلألئة ذراته.

***

استمرت في الصُراخ وهي تحاول تخليص نفسها من الأذرع السوداء التي كانت تُكبلها من قدميها ويديها، ولكن بلا فائدة. لم تُنكر في قرارة نفسها حتمية فناء قوتها في حضرة الشيطان، ولكنها كانت شجاعة بالدرجة الكافية لتحاول تخليص نفسها عدة مرات دون أن تيأس. «يا خبيث، لن تنال ما تتمناه أبدًا، ستظل ملعون بالشقاء اللانهائيّ أبد الدهر حتى يأتي يوم الحساب، تجوب العوالم بحثًا عن الراحة ولن تجدها ... هذا وإن أكملت مسيرتك القذرة، ولم يتمكن منك أخواتي!»، كان ملك العالم السفلي يحوم حولها عاقدًا ذراعيه وهو ينظر إليها ويبتسم في سخرية، ثم قال: «عنيدة كأي ساحرة غبية من عشيرتك القذرة، لم نستغرق وقتًا طويلًا في إخضاعك وإحضارك لنا، ولا تزالين تنبحين ككلب من كلاب الجحيم التي أرعاها...ما أغباكن».

ثم رفع رأسه للأعلى ونظر لأحد الشقوق في سقف الكهف، ثم قال: «تعالوا يا صغاري»، فخرج من الشق ثلاثة كائنات قصيرة القامة، لديها جناحان كالغربان، تمتلك جسدًا أشبه بالبشر في تكوين الأطراف من ذراعين وقدمين، مع اختلاف أن لها حوافرَ بدلًا من أصابع القدمين، وثلاثة أصابع فقط بدلًا من خمسة في اليدين، مزينة بأظافر طويلة وحادة، رأسها مُربع، وفمها وعيناها مستديران، بالإضافة لفتحة الفم التي كانت مزينة بأسنان حادة كالأشواك. هبطوا من أعلى ووقف

اثنان منهم على يمين لوتارا ويسارها، بينما وقف الثالث بين قدميها التي باعد بينهما اثنان من الأذرع السوداء الطويلة التي كانت تكبلها.

اقترب الكائنان من رأس لوتارا، وامتد فاهما، ليلتصقا بأذنيّ الفتاة، ثم وضع الكائن الثالث يديه على بطنها، وبدأ الثلاثة في ترديد كلمات غير مفهومة بصوت غليظ، كانوا يرددون: «ميلانوراكا-ساتان، ميلانوراكا-إنفيرنو»، ظلت لوتارا تصرخ وتقول: «المجد لساحرات النور، والهلاك لشياطين الشرور» ظلت ترددها وهي تصرخ، بينما كان الثلاثة يرددون: «ميلانوراكا-ساتان، ميلانوراكا-إنفيرنو» بلا توقف. كانت المسكينة تصرخ من شدة الألم الذي شعرت به، كان كاندلاع نيران بداخل جسدها، شعلات من اللهب تتفجر في عظامها ولحمها من الداخل، ولكنها لم تيأس، وظلت تردد كلماتها بقوة، «ألم أقل لكِ أنكِ عنيده مثلهن؟ عاهرات ترتدين عباءات العفة والخير، لا تكوني غبيه يا لوتارا، استسلمي لقدرك العظيم معنا، انظري لصديقتك وكيف أصبحت بعدما انضمت إلينا» وأشار بيده تجاه امرأة ترتدي عباءة سوداء، مزينة برسومات فضية قد ميزتها لوتارا، اقتربت منهم بعدما كانت تشاهد من بعيد ما يحدث، ثم نزعت غطاء الرأس عن وجهها، فشهقت لوتارا في فزع «زيرا! ماذا فعلوا بكِ»، كانت هي بالفعل، تلك الفتاة البريئة التي ترعرعت في كنف

إربيا، ولكن كُل ملامح البراءة قد مُحيت من على وجهها فتحولت لكائن آخر أكثر شرًا وكراهية؛ وجه رماديّ، شفاه سوداء بالإضافة للعينين أيضًا، شقوق مفزعة في كُل أرجاء وجهها. اقتربت زيرا -أو ما استحالت إليه- من لوتارا، ثم قالت بصوت مزدوج هو خليط من الأنوثة والذكورة الغليظة: «تقبلي قدرك يا لوتارا، فعشيرة الساحرات ستزول قريبًا على يدينا وسنحكم العالم كله بكل كائناته، ومن يعصي أوامرنا، فسيحترق بنيران الجحيم».

بكت لوتارا حين رأت ما حل بـ زيرا، ثم تحولت ملامحها لغضب رهيب ورددت بكُل ما تبقى لها من قوة: «المجد لساحرات النور، والهلاك لشياطين الشرور. المجد لساحرات النور، والهلاك لشياطين الشرور»، ظلت الكائنات المجنحة تنفث خبثها في أذنيّ الفتاة المسكينة، حتى بدأ سائل أسود في السريان بداخل عروقها التي نفرت واستحالت للون الأسود، بينما كانت المسكينة تردد القسم بكل قوتها، حتى خارت قوتها تمامًا، وثقلت الكلمات على لسانها، ثم أغمضت عينيها وهي تكافح الألم الذي تمكن منها أخيرًا، قبل أن تفتحهما وقد تحولا للون الأسود تمامًا، ثم قالت بصوت مفزع: «الهلاك لساحرات النور، الهلاك لساحرات النور، الهلاك لساحرات النور»...!

***



-١٠-

كان الوقت في ساعة متأخرة من الليل، يغلبُ عليه هدوء رهيب لا يشوبه أي صوت إلا أصوات الرياح التي كانت تتخبط في أوراق الشجر، وبضع عصافير تتحدث مع بعضها البعض، تقف على أحد جذوع الأشجار بينما كان بعضها الأخر يقوم بأعمال بناء أحد الأعشاش. فجأة، اقترب أحد العصافير من حافة الجذع المُطل على أرض أثرية، تشبه حدوة الحصان في تكوينها، مقسمة لعدة صفوف من المدرجات تتوسطها ساحة صغيرة، تشبه إلى حدٍ كبير ساحات المعارك الرومانية القديمة.

ما جذب بالتحديد انتباه العصفور هو دائرة متوهجة باللون الأبيض والفضيّ، ظهرت فجأة من باطن ساحة الأرض الأثرية، وظلت تدور بلا توقف متوجهة بأضواء عظيمة، جعلت العصافير بأكملها تطير في فزع من على جذوع الأشجار، وظهر من وسط الدائرة ستة ظلال مقسمين لخمسة في تشكيل دائريّ، يتوسطهم سادسهم. وحين اختفت دائرة الضوء، ظهرت ملامح إربيا بصحبة أعوانها من الساحرات بالإضافة لـ تميمة التي كانت مركز الدائرة.

نظروا حولهن ليتفحصوا المكان المنشود، فهزت إربيا رأسها وقالت: «يطلقون عليه المسرح الروماني، من الأماكن

الأثرية المتعارف عليها بمدينة الإسكندر الأكبر ... خير مكان لبدء طقوسنا يا تميمة»، أما الأخيرة، فكانت تنظر حولها في دهشة، فقد كانت معالم المكان غريبة، ذرات الأتربة معلقة في الهواء، الأشجار تتبدل ألوانها بشكل سريع ومتتابع، خليط من الأخضر والأسود والأبيض مصحوب باختلاف في التكوين نفسه، فهي أشجار مزهرة تارة وميتة متساقطة أوراقها تارة أخرى، وكأنها كانت تجاهد للاحتفاظ بشكل محدد لها.

قالت تميمة لـ إربيا في دهشة: «ما خطب الأشجار؟ ما خطب المكان ككل؟»، فتنهدت إربيا وقالت: «نحن الآن في عالم أثيريّ ما بين الواقع البشريّ وعالمنا وعالم من يسكن الظُلمات، قوتك تفرض نفسها على المكان وكأنه مستعد للاحتفال بتتويجك كواحدة من نسل هيكاتي العظيمة». أشارت إربيا للساحرات الأربعة، وعلى الفور، شرعن في فتح حقائب قماشية صغيرة معلقة حول خصرهن، أخرجت الأولى زهرة الخُزامى أرجوانية اللون، وأخرجت الثانية رأسًا من نبات الثوم، وأخرجت الثالثة شمعة غريبة الشكل، لفتت انتباه تميمة، فقالت لها إربيا: «تلك الشمعة مقدسة، مصنوعة من نبات نادر يسمى آذان الدُب، من ضمن الأدوات الأساسية في التضرع للساحرة العظيمة»، فهزت تميمة رأسها دون أن تفهم أي شيء، ونظرت للساحرة الرابعة التي أخرجت حاوية

ذهبية اللون ممتلئة بالعسل. «استلقى في الأرض يا تميمة، وأغمضي عينيكِ ولا تفكري في أي شيء سلبيّ ... دعي الأفكار المبهجة تجتاح جنبات عقلكِ»، قالتها إربيا ففعلت تميمة ما طُلب منها فورًا.

وضعت إحداهن العسل عند مقدمة رأسها، ووضعت الثانية زهرة الخُزامى عند ذراعها اليسرى، بينما أشعلت الثالثة الشمعة ووضعتها بجانب يدها اليمني، ووضعت الأخيرة رأس الثوم عن قدميها. وقفت إربيا أمام قدميّ تميمة، ثم ابتعدت عدة خطوات للخلف، ثم أغمضت عينيها وتمتمت قائلةً:

من أجلكِ أنتِ، أستدعي ذا المخلب

حيوانك المطيع، وخادمك الأليف

لتكتمل الترضية

فنبدأ في استدعائك الشريف

«آرا – ميانثا- ملاكوردا- لار»

سمع الجميع صوت زمجرة حيوان مفترس آتٍ من حيث تقف إربيا ففتحت الأخيرة عباءتها عند قدميها، فخرج كلب فظيع الهيئة، تلمع عيناه في ظلمات الليل الذي لم

يختلف لونه كثيرًا عن لون جسده الممتلئ بالشعر الكثيف، كان هجينًا بين كلب وذئب، لم ترَ إحداهن وصف كهذا من قبل، اقترب الكائن بهدوء من قدميّ تميمة التي ارتعشت فور ملامسة أنفه لها، فقالت لها إربيا لتطمئنها: «اهدأي ولا تخافي، هو في صفنا ولن يهاجمك. تلك المخلوقات هي المحببة لقلبها المقدس، ساحرتنا العظيمة هيكيتا» وقد كانت مُحقة، فقد جلس الكلب عند قدميّ تميمة في هدوء، ولم يتحرك مُطلقًا.

نظرت إربيا لجميع الحاضرين وكُل الأغراض الموضوعة بعناية حول تميمة، كمن تتمم على أن كُل شيء موجود في مكانه الصحيح، ثم قالت «الآن، سنبدأ...لا أريد من إحداكن أن تتحرك مهما حدث، كل منكن تبقى في مكانها ولا تتخذ أي رد فعل لما نحنُ على وشك رؤيته، مراسم التتويج الإلهي من أشد الشعائر حساسية، حلقات الوصل بينها رقيقة للغاية وتتطلب درجة عالية من الهدوء والسلام النفسي، لتتجلى هيكيتا في جسد تميمة. أعلمُ جيدًا أنكن على قدرٍ كافٍ من العِلم -وأشارت للساحرات الأربعة- ولكن وجب التنبيه على أية حال...تميمة، لا تتحركي مهما حدث».

عبأت إربيا صدرها بالهواء، ثم نفثته كمن تطرد أعباء العالم كله، ثم أغمضت عينيها، ورفعت ذراعيها أمامها وبسطت

كفيها للأمام وقالت بصوتٍ قوي، رنت أصداؤه في أرجاء المكان:

هيكاتي العظيمة، من تغزل شباك النجوم

هيكاتي المُخيفة، من تملك زمام العالم السفلي

هيكاتي الخيرة، من تُمسك بمشاعل الضياء

نور الطُرُق المظلمة، حاملة مفاتيح الكون

ملكة الليل، القائدة، اللامعة، ذات الهيئات الثلاثة

حامية الأطفال، والأمهات المغلوبات على أمرهن

بناتك الفقيرات يتضرعن إليكِ، فلبي بحق السحر القديم وأصوله النفيسة.

هبت رياح قوية فور انتهاء إربيا من تلك الكلمات، فتوتر الجميع وارتبك، فرفعت إربيا يدها في إشارة منها لمنعهن عن إصدار أي حركة، ثم بسطت يديها للأمام مرة أخرى، وأشارت بيدها اليسرى للأرض وقالت: «سوداء كما الليل»، فرعدت السماء فجأة، ثم ضمت يديها الاثنين ووضعتهما على قلبها وقالت: «حمراء كالدماء»، فزادت قوة الرياح، ثم أشارت بيدها اليمنى للسماء وقالت «بيضاء كالنجوم»، فاهتزت الأرض من أسفلهن جميعًا.

لم يستطع أحد من الحاضرين أن يمنع نفسه من التوتر، فنظر الجميع حوله وتعالت همساتهم في قلق وصرخت تميمة في خوف وقالت لـ إربيا: «ماذا يحدُث، أخبريني أرجوكِ!»، فصرخت إربيا «اخرسن جميعًا، وركزن فيما يحدث، ستتجلى لنا، أنا أشعر بها!». ثم رفعت يديها للأعلى وقالت:

يا من تسري في جسدها دماء الآلهة

يا من قدسك وحوش العالم السفلي قبل ملائكة السماء

تجلي لنا، تجلي لنا في جسد تلك الفتاة النقية دماؤها

أودعي وديعتك العظيمة بشكلها الكامل في خلاياها

عززي قدراتها لنحر عنق الشر

قالت كلماتها الأخير وهي تشير لـ تميمة المستلقية أرضًا، بينما كانت الأخيرة ترتعش بقوة رهيبة، تجمع بيديها قبضات الثُراب وتضغطها بقوة من شدة الألم الذي شعرت بها، ألم رهيب لم تعُر به من قبل، بينما أكملت إربيا كلماتها وقالت وهي تصرخ:

نستحلفك بقوة السحر القديم وعجائبه أن تلبي نداءنا

بحق أسمائك المقدسة أن تلبي النداء

زادت سرعة الرياح بشكل أكبر مما جعل الساحرات الأربعة يكدن يثبتن أقدامهن في الأرض خوفًا أن تقذف بهم الرياح بعيدًا، أما تميمة فكانت تصرخ بقوة، صرخات كادت أن تفجر حنجرتها. نظرت لهن إربيا في قلق، ولكنها أصرت على استكمال الشعائر، فنادت هيكاتي بأسمائها المقدسة:

أجروتيرا، أنتانيا، آتالوس، بريمو، ديسبونيا، إندونيا

جورجو، كاثونيا، سوتيرا، تريفيا، سكايلاك-اجيليس

وفجأة، ظهرت طاقة من النور في شكل دائرة فضية من حول تميمة، ظلت الدائرة تدور ببطء، ثم زادت سرعتها شيئًا فشيئًا كلما نطقت إربيا أحد الأسماء، نظرت إربيا لدائرة النور، وتشجعت لإكمال الشعيرة:

بروبيلايا، بروبوتوس، نيكتيبولوس، مونوجينيس

كـــراتـــايـــاس!

وما أن أنهت إربيا تلك الأسماء، حتى زادت سرعة الدائرة المحيطة بجسد تميمة، سرعة جنونية صحبتها أصوات انفجارات صغيرة، وكلما انفجر أحد الأصوات، كان جسد تميمة يرتعش أكثر وأكثر، حتى صرخت صرخة قوية، بصوت ثلاثيّ تختلف كُل نبرة منه عن الآخر، متحدين في صوت صرخة واحدة، ثم فتحت عينيها اللتين تحولتا للون

الأزرق المشع، ثم انفجرت دائرة النور، وطار في الهواء كُل من الساحرات الأربعة بصحبة إربيا ليسقطن جميعًا بعيدًا عن تميمة الملقاة على الأرض، مسافة بضعة أمتار.

نهضن جميعًا، وتوجهن لمكان استلقاء تميمة، فوجدنها في ثبات عميق لا يرمش لها جفن، فنظرت إربيا للكلب الأسود فوجدته جاثيًا كما هو أمام قدميّ الفتاة، نظرت في تعجب للساحرات الأخريات وقالت: «ما هذا، لماذا لم يحدُث أي تجلي؟ ولماذا لم يتحرك الكلب، كان لا بُد له أن ينبح حين يستشعر وجود العظيمة، ما الخطأ في الشعيرة؟ ما الشيء الذي لم أكمله على النحو الصحيح؟»، قالتها وقد تلبستها حالة من الغضب العارم، حينها نظرت إحدى الساحرات الأربعة لها وقالت في فزع: «سيدتي! وراءك.»

لم تكد إربيا أن تلتفت لترى ما الذي كان خلفها، حتى شعرت بطعنة في ظهرها، جعلتها تشهق في ألم، ثم سقطت أرضًا، لتكشف عن سيدة ترتدي عباءة سوداء، مزينة بنقوش فضية. كانت زيرا، في أبشع أشكالها، نظرت للساحرات الأربعة اللائي تأهبن للدفاع عن أنفسهن، وقالت وهي تبتسم في خبث: «لا تقلقن، لن تشعر إحداكن بأي ألم...سأقبض أرواحكن سريعًا»

***

١٩٢١

وقفت فتاة صغيرة تبكي خارج بوابات السجن الذي أُضرمت به النيران، شاهدت العساكر والمساجين وهم يحترقون أحياء، يركضون يمينًا ويسارًا حُبًا في البقاء، وعلت الصرخات من داخل البوابات العملاقة وخارجها. كانت الفتاة الصغيرة تراقب المشهد في صمت وهي تنتحب، تمسح دموعها بأطراف فستانها البالي المتسخ، ظلت تردد: «ماما، ماذا حدث لكِ يا ماما»، ثم شعرت بكفين تلمسان كتفيها في حنان من وراء ظهرها، واقترب منها من كان يقف ملاصقًا لها وهمس في أذنيها قائلًا بصوت خافت كفحيح الأفعى: «لا تخافي، أنتِ في أمان معي...كُل شيء سيكون على ما يرام»

***

-١١-

صعود رهيب بسرعة الصاروخ للأعلى، كاد عمودها الفقري أن يخرج من ظهرها من شدة الصعود، مكان يشبه الأنبوب مضيء بالكامل من كُل الجوانب بأنوار فضية كادت أن تعمي عينيها، وبعد فترة لم تدر متى بالتحديد، توقف كُل شيء فجأة.

وجدت نفسها محلقة في سماء ليلية مظلمة ممتلئة بالنجوم، نظرت بانبهار للشُهب المتساقطة بسرعة من حولها، انفجارات كونية لكواكب لم تعلم عنها شيئًا من قبل، كانت في حالة من السُكر من فرط الجمال والهيبة لما يحدث، ثم ظهر أمامها مباشرةً طاقة من النور الأزرق، توهجت بقوة فوضعت يديها على عينيها من شدة الألم، ثم سمعت من ينادي اسمها: تميمة، مُضيفتي نقية الدم، من ستتخلل قوتي جسدها.

رفعت تميمة يديها من على عينيها، فشاهدت سيدة طويلة القامة، تمتلك جمال لم ترَ تميمة مثله من قبل، تبسط يديها للأمام بشعلتين من اللهب الأبيض على اليد اليمنى، والأسود على اليسرى، شعرها أسود ومنسدل حتى خصرها، متوجة برأس مُحنطة لكلب أسود تلمع عينيه كالألماس، ومنقوش على جبهته الوشم نفسه الموجود على رسغ تميمة، بكُل

تفاصيله.

نظرت لها تميمة بانبهارٍ شديد، ثم قالت: «أنتِ، أنتِ هي هيكاتي العظيمة، لقد نجحت شعائر إربيا ... ولكن ... ولكن أين أنا الآن؟ ما هذا المكان؟» ابتسمت هيكاتي وتحدث صوت داخلي منها دون أن تحرك شفتيها، قائلًا: «أنا هيكاتي، أم الساحرات الأمينة على عجائب السِحر القديم ... نحنُ في مركز العالم الأثيري الجامع لكُل شيء، السماء، الأرض، الجحيم، النعيم...كُل شيء يكمن هنا، كُل الألغاز مفاتيحها موجودة هنا»، تعجبت تميمة من مصدر الصوت، ففوجئت بوجه آخر يبرز من خلف رأس هيكاتي؛ الملامح نفسها تقريبًا مع اختلاف أنها أقل جمالًا، تحمل بعض الشحوب، لم يكن موضعها الفيزيائي قادرًا بشكل كافٍ لجعلها تنظر لـ تميمة نظرة كاملة، فنظرت بجانب عينيها مما جعل تميمة تفزع حين رأت تلك العين السوداء المشقوقة طوليًا، وظلت تحملق فيها حتى قالت شبيهة هيكاتي: «أنا الثاني، ملكة الليل والموت، أنا من لها القدرة على إخضاع العالم السُفليّ، والسير في الممرات الجحيمية للحلقات السبعة»، تنهدت تميمة وقالت في تساؤل: «لماذا وقع الاختيار عليّ لحمل تلك اللعنة؟».

فصدر صوت آخر من هيكاتي، قائلًا: «إياكِ! ما قوتنا إلا

مباركة وهدية يتمناها الجميع، لا تتجاوزي الحد المسموح أيتها البشرية!»، وبرز من الجهة اليمني لأم الساحرات وجه ثالث؛ امرأة بيضاء كالثلج، لا يختلف لون شعرها عن بشرتها فيما عدا أنه كان يلمع كنجمة في سماء الليل، نظرت بجانب عينيها -اللتين كانتا تضويان بلون فضيّ متلألئ- وأكملت قائلة: «أنا الوجه الثالث، من تحمل مشاعل الضياء في أرجاء الكون، ناشرة السعادة والبهجة على قلوب المساكين والبؤساء»، تحدثت أم الساحرات وقالت: «لكل شيء قدر يا ابنتي، وقدرك هو أن تكملي مسيرتنا على الأرض لحماية بني البشر من فظائع العالم السفلي ... لقد عاصرنا جميع الممالك، واجهنا جيوشًا لم يتخيل أحد أنها قد تُهزم في يوم من الأيام، وهزمناها شر هزيمة ... واجهنا ملك العالم السفلي عدة مرات وألحقنا به إصابات جعلته يختبئ كالفئران في الحلقة السابعة من الجحيم، ليخطط ويفكر لتدميرنا والاستيلاء على قوتنا ... ولكن لكُل شيء نهاية، نحنُ لسنا من البشر لنشيخ ونموت، ولكن يأتي علينا وقت لا بُد أن نبتعد عن العوالم الأخرى ونراقب في صمت من هذا العالم الأثيري، نعطي الفرصة لغيرنا من الكائنات لحماية تلك العوالم من شرور فظيعة قد تدمرها جميعًا ... والحل هو أن نودع قوتنا في جسد مخلوق آخر، يحسن استغلالها على نحوٍ جيّد»، أكملت بدورها من تحمل مشاعل الضياء وقالت: «لكُل

مخلوق دلالة قوية، ودلالتكِ كانت هزيمة جيوش الشيطان في تلك الموقعة عندما كنتِ في المهد تصرخين من الخوف، لبينا نداءك ووضعنا لمسة من قوانا بداخلك برغم أنه لم يكُن قد آن الأوان لذلك، وضعنا فقط لمسة ضعيفة ليتحملها جسدك الواهن، وقتها تفجرت منكِ قوة عظيمة، تلك القوة أمهلت البشر فرصة أخيرة، ليمر الزمان وتكبرين ليتحقق ما هو مُخطط له من القدر، وتأتي إلينا لنهبكِ ما نملك بالشكل الكامل»، قالت تميمة: «وما الذي جعل تلك المخلوقات تهاجمنا، وقد كُنتُ لم أمتلك تلك القوى بعد؟».

أشارت أم الساحرات لرسغ تميمة وقالت: «ذلك الختم المقدس هو بداية النبوءة التي لم يتحمل الشيطان فكرة حدوثها، له رائحة عطرية لا يشعر بقوتها إلا الكائنات الأسمى من البشر؛ كسحرة الجن، وتلك المخلوقات العفنة التي انجذبوا إليها بعدما أمرهم سيدهم بتتبع رائحتها، وحين استدلوا على مكانك، حدث ما حدث»، وكأن تلك الذكرى التي احتلت عقلها كانت بمثابة الوتد الذي لم يكف عن اختراق قلبها، فلم تتمالك نفسها وانهمرت من عينيها الدموع بغزارة، فقالت لها ملكة الليل والموت: «لا تبكي على ما مضى يا بنيتي، لو كنتِ قُتِلتِ في ذلك اليوم، لكانت كائنات الجحيم استعمرت العالم أجمع برعاية سيدها الملعون، تلك الطاقة التي خرجت منكِ عن دون قصد كانت هي الفرصة الوحيدة

لإعطاء العالم الوقت الكافي، للاستعداد للحظة الحاسمة ... لا تحزني على جرح الماضي، تقبلي التغيرات التي طرأت على مسار قدرك، فلولا ما حدث، ما كُنتِ أمامنا في تلك اللحظة، تستعدين لحدوث التتويج الإلهي».

وجهت أم الساحرات يدها مشيرةً لأسفل قدميّ تميمة السابحتين في الفضاء، فشاهدت تميمة نفسها وهي مستلقية أرضًا في ذلك المكان الأثري، وإربيا ملقاة على الأرض، بينما كانت هناك امرأة غريبة تطلق شعلات من اللهب الأسود، تخرج من يديها تجاه الساحرات الأربعة، اللائي كنَ يكافحن في الدفاع عن أنفسهن ضد تلك الهجمات الشيطانية. شهقت تميمة ونظرت لـهيكاتي التي قالت لها: «سوف يمتن في سبيل الخير ولن يتقاعسن عن تأدية واجبهن أبدًا، هل ستتركينهن لمصيرهن البشع، الذي سيلحق بالبشرية كلها إذا ما هُزمن اليوم؟»، تنفست تميمة الصعداء، وهزت برأسها نافيةً وهي تفكر بصوت عالٍ، قائلةً «اليوم سينتهي كُل شيء، وسيعود أبناء الشيطان لحفرتهم القذرة في الجحيم ... أنا مستعدة للتويج»، فنظرتَ كل من ملكة الليل والموت، ومن تحمل مشاعل الضياء بالإضافة لـ أم الساحرات، التي باعدت بين ذراعيها كمن تستعد لاحتضان تميمة ثم قلن جميعًا في صوت واحد: «حان وقت اكتمال النبوءة، فلترتمي في أحضاننا، لنكُن من تلك اللحظة وإلى الأبد ... شخص واحدًا ...

وقوة واحدة ... لا تُقهر أبدًا».

***

ارتفعت زيرا عن الأرض بضعة أمتار، ثم استجمعت كُل قوتها وصرخت قائلة: «بنميا-راكوش»، فخرج من بين عباءتها ثعبانان ضخمان، يصبغ اللون الأحمر القاني جلديهما، زحفا بسرعة تجاه الكلب الضخم الذي كان يزمجر في غضب، متأهبًا للحظة هجومهما عليه، فقفزت إحدى الساحرات الأربعة في الهواء، ومدت يديها الاثنتين للأمام، فانشقتَ راحيتهما وخرج منهما نصلان، طارا بسرعة خارقة وقطعا رأسي الأفعتين على الفور، ثم هبطت الساحرة على الأرض وهي تنظر لـ زيرا بغضب مختلط بالإجهاد واليأس من احتمالية الفوز في تلك المعركة. ضحكت زيرا ضحكة مفزعة، ثم نظرت بخبث للسّاحرات الأربعة، ثم قالت: «جميل، جميل جدًا...لقد تعالت مستويات النشوة بداخلي، أنتن خير خصوم في تلك المعركة، كُنت سأحزن كثيرًا إذا ما كان قتلكن سهلًا... والآن، دعونا نعلُ بمستوى المعركة»، ثم فردت أصابعها وطابقت راحتيها مع بعضهما البعض، ثم باعدت ما بينهما بهدوء، فخرج من خلفها امرأة أخرى، تشبهها في الملامح الشريرة إلى حد ما، كانت تلك المرأة هي لوتارا.

تراجعت الساحرات الأربعة، والتصقن ببعضهن البعض من

القلق، فهن على دراية كافية بما ستؤول إليه الأمور بعد قليل، فساحرتان في قوة من العالم السفلي، كفيلتان بالقضاء عليهن في لمح البصر.

نظرت كلُ من زيرا ولوتارا لبعضهما البعض، ثم نظرتا للساحرات الأربعة المرتجفات، وطابقتا كفيهما مرة أخرى وباعدهما عن بعضمها البعض، فظهر من خلف كُل واحدة منهما نسخة أخرى شبيهة للأولى. فقُلن جميعهن في صوتٍ واحد بسخرية: «الآن سنلعب لُعبة عادلة، أربعة ضد أربعة... هل أنتن مستعدات؟». نظرت واحدة من الساحرات الأربعة لباقي أخواتها، ثم نظرت لإربيا الملقاة على الأرض، وقالت لأخواتها: «لقد كان شرفًا عظيم أن أقاتل معكن يا أخواتي، سنهجم الهجمة الأخيرة...من أجل العظيمة هيكاتي ... من أجل إربيا».

فتح كُل من لوتارا وزيرا والشبيهتان أيديهن كمن يستعدين لاحتضان الساحرات الأربعة الخيرات، ثم قلن بصوت واحد مُفزع، مُغاير تمامًا لأصوات البشر: «سيربينس-مينجوس-فينديتور»، فخرج من أكمامهن ثعابين سوداء صغير، كلما خرج جزء من أكمام العباءات، كانوا يتضخمون بشكل رهيب، حتى أصبحوا في أحجام عظيمة، ثم زحفوا بسرعة على الأرض، وقفزوا في الهواء تجاه

الساحرات الأربعة، اللائي قد شلت المفاجأة تفكيرهن.

وفجأة، تجمدت تلك الزواحف في الهواء، ثم تحجرت تمامًا كرجال تعرضوا لنظرة ميدوسا الساحرة، وانفجروا لتتناثر أشلاؤهم الحجرية على الأرض، وفي تلك اللحظة تحديدًا، نبح الكلب الأسود بقوة، ثم التفت لينظر لجسد تميمة المستلقي على الأرض. علت الابتسامات وجوه الساحرات الخيرات الأربعة، بينما ارتبكت زيرا ولوتارا والشبيهتان، ودوت صرخة ألم رهيبة من الأخريين، تبعهما حالة من التشنجات الرهيبة، فالتفتت زيرا ولوتارا إلى الشبيهتين، لتجد أن جسديهما يصدران فقاقيع كمياه شديدة الغليان، وكذا حدث للثعابين الحجرية، ولكن تلك المرة لم تكُن الأشلاء متحجرة، بل كانت دماء ولحمًا وعظامًا يغلب عليها اللون الأسود، ويصدر منها رائحة كريهة كرائحة حيوان ميت.

زاد ارتباك الساحرتين المُظلمتين، فانتبهتا إلى صوت إربيا الواهن من قوة الطعنة التي لم تتحملها وهي تقول: «لقد تمت النبوءة، ونبح الكلب...والهلاك قادم لجنسكم لا محالة»، وأشارت بيد مرتعشة لتميمة، فهلع الساحرتان حين ريا تميمة معلقة في الهواء، شعرها المتطاير يتداخل فيه اللونان الأبيض مع الأسود، بالإضافة لعينها اليمنى المشعة بلون

فضيٍّ لامع، بينما كانت اليسرى سوداء كمصير الساحرتين اللتين كانتا ترتعشان من الخوف في قرارة نفسيهما الشيطانية.

«نحنُ لا نخشاكِ، الظلام يحمينا، وملك العالم السفليّ يمدنا بقوة لن تستطيعي مجابهتا»، قالتها زيرا في خوف واضح لـ تميمة التي لم تعد هي نفسها في الحقيقة، فأجابتها الأخيرة بصوت قويّ، رجت أصداءه المكان:

«نحنُ من نملك القوة والكلمة، نحنُ بداية الزمان ونهايته، أنتما الآن في حضرة الرُعب الأعظم، لقد حضرنا...ولن يبقى من عالمكم شيء إلا ودمرناه...اخضعا لـ لملكة الموت والليل، من تحمل مشاعل الضياء، وتُخضع شياطين العالم السفلي، اخضعا للبشرية ذات الدماء المُقدسة.. أو نالا الفناء الأبديّ بلا بعث.».

***

-١٢-

١٩٢١

أمسك بيديها، ومشيا بين ركام السجن المُدَمَر، مشيا معًا وسط الجثث المحترقة، مرا بأشخاص يلفظون أنفاسهم الأخيرة، غير مُصدقة أرواحهم أنها النهاية، شعرت باطمئنان غريب وهي تمسك بيديه رغم أنها لم تستطع تمييز وجهه من غطاء الرأس الذي كان يضعه، والعباءة السوداء التي كانت تحجب جسده بالكامل، ولكنها لم تنسَ قبضة يديه على يدها الصغيرة المرتعشة، قبضة هي خليط بين القوة والحنان.

سار بها حتى وصل لحطام مبني مكتوب عليه «التنفيذ»، دخل الاثنان الممر المُظلم الطويل، فارتعشت الفتاة خوفًا من الظلام، فضغط على يدها أكثر ليطمئنها، ثم وجه يده اليسرى للممر المُظلم وقال: «إيجو-فويجو-إجنيس»، فظهرت شعلات من اللهب على طول جُدران الممر، فأضاءته حتى بينت نهايته التي كانت بابًا حديديًا متفحمًا، فسار الاثنان في الممر وشعرت الطفلة ببعض الطمأنينة.

وصلا إلى باب الغرفة الحديدية، كانت الرائحة لا تُطاق بالنسبة للصغيرة، لم تدرِ تحديدًا كيف تصف شعور الضيق الذي غزا مشاعرها وحواسها، فقالت ببراءة للرجل: «أنفي

يؤلمني، الرائحة سيئة»، لم يعرها اهتمامًا وقادها إلى داخل الغرفة. كانت الأرجاء متفحمة للغاية، المقاعد تحولت لبقايا مفتتة من الرماد الأسود، زجاج النوافذ مهشم بالكامل. وعلى أقصى اليمين، كان هُناك زوج من المشانق، مُعلق بهما جثتان متفحمتان بالكامل، فمهما مفتوح في ذهول. حاولت الفتاة أن تشيح بوجهها حين وقع نظرها عليهما، فأجبرها الرجل على النظر إليهما؛ أمسك برأس الصغيرة بكلتا يديه، ووجها نحو الجثتين وقال «انظري لما حدث لوالدتك وخالتك، البشر الملاعين هما من قتلاهما وأحرقا جثتيهما، وعندما حاولا الدفاع عن نفسيهما، أحرقوهما أحياء»

بكت الفتاة بشدة، وظلت تنتحب وهي تقول: «أمي، خالتي!» أفلت الرجل ذو العباءة رأسها، فالتفتت إليه وسألته وهي تمسح دموعها: «ولكن...ما الذي اقترفاه؟»، احتضنها الرجل وهمس في أذنها قائلًا: «لا شيء، لم يفعلا ما يستحق ذلك العقاب البشع ... العنف والوحشية هما طبيعة البشر يا ابنتي، يستمتعون أشد الاستمتاع بتعذيب الآخرين، يعشقون القتل وسفك الدماء، ولم يبالوا بوجود فتاة جميلة مثلك ستمضي حياتها بمفردها بلا أمها لتحتضنها قبل نومها»، ازداد بكاء الفتاة ما أن أنهى الرجل كلماته، ثم انعقد حاجبيها في غضب، وقالت له: «أنا أكره البشر جميعًا، أريدهم أن يموتوا مثلما ماتت أمي وخالتي»، ابتسم الرجل بخُبث وقال للفتاة:

«أنا أيضًا أكرههم جميعًا، ما رأيك أن نتحالف أنا وأنتِ لنُصبح أقوى، سوف أجعلكِ من أقوى الفتيات ولن يهزمكِ أحد أبدًا»، ابتسمت الفتاة وتحمست وتناست ما يحدث وهزت رأسها بالموافقة وقالت: «أنا موافقة يا عم»، فقال لها الرجُل: «أغمضي عيناكِ»، ففعلت الفتاة ما أمرها به، وإذ به يفتح عباءته، ويدخلها بين طياتها، ثم أسدل عليها طرفي العباءة، واختفيا-حرفيًا- من المكان.

مرت ثوانٍ قبل أن يخرج الصغيرة من بين عباءته، ثم قال: «والآن، افتحي عينيكِ»، ففعلت الفتاة، لتجد نفسها في مكان مظلم، شهقت في فزع، فطمأنها الرجل قائلًا لها أنه بجانبها، ثم قال تلك الكلمات مرة أخرى «إيجو-فويجو-إجنيس»، فأنارت شعلات اللهب المكان، لتجد الفتاة نفسها في منزلها الذي سيقَ منه أمها وخالتها للمخفر بعدما هجم عليهما الأهالي، قالت للرجُل: «أرجوك، أخرجني من هنا...أنا أكره المكان هنا ولا أحب البقاء فيه، لقد كُنت أقضي كُل الأيام في الخارج ألعب مع صديقاتي، ثم أبيت عند أحد الجيران خوفًا من هذا المنزل»، نظر إليها الرجل بحدةٍ، وقال بلهجة تحذيرية بها بعض التشجيع: «ذلك المنزل هو مهد كُل شيء، العظمة كلها تكمن في تلك الجدران –وأشار بيده للأخيرة- الأرض مقدسة بدماء من ضحوا بأنفسهم ... من هُنا سيعود كُل شيء في يومٍ من الأيام ... حين تأتي الساعة المحتومة»،

لم تفهم الفتاة أي كلمةٍ مما يقولها ذلك الرجل، الذي أكمل قائلًا: «هل تتعهدين بالقضاء على كُل من تسببوا بإيذاء عائلتك؟ هل ستكبرين ويكبر معك ذلك الغضب العارم الذي سينهي وجودهم الدنس؟»، فأجابته الفتاة: «نعم، أنا أكرههم بالفعل، وأريد أن أنتقم منهم جميعًا» أمسك الرجُل بيديها ثم قال: «أغمضي عينيكِ، وقولي عهدك من كُل قلبك»، فعلت نبرة الفتاة بقوة وقالت: «سأنتقم منهم جميعًا ... سأقتلهم جميعًا ... سأقتلهم جميعًا!»

مرت ثوانٍ قليلة، قبل أن تسأل الفتاة عن سبب ذلك الهدوء الذي عم فجأة على المكان، وفتحت عينيها لتجد أنها بمفردها في الغرفة، ارتبكت من شعورها بالوحدة وقررت أن تتوجه إلى الباب لتخرج، فإذ بالأرض تهتز من تحتها، وتخرج أذرع سوداء، يتساقط منها ما يشبه القطران الذائب، لتمسك بالمسكينة التي كانت تتنفس بسرعة عوضًا عن إطلاق صرخة فزع قوية من هول الصدمة، وظلت تخرج واحد تلو الأخرى، لتمسك كُل يد جزء مختلف من جسدها فأصبحت مُكبلة بالكامل بأكثر من عشرين يد مُرعبة حتى رقبتها، فارتعش رأسها، وخرج سائل أبيض من فمها بغزارة، وابيضت عيناها، وظلت تردد: «أنتم هالكون لا محالة» بلا توقف، ثم بدأت الأيادي في سحبها بداخل الأرض، حتى اختفت تمامًا، ليعود المنزل كما كان من قبل، ممتلئًا بساكنيه من أشباح

الضحايا فقط.

***

«آرديني-إنيجني، فيريفيكاس!»، قالتها تميمة فخرجت من يديها شعلات لهب عظيمة تجاه الساحرتين المظلمتين، فصرختَ الساحرتان المظلمتان، ووجهتا أيديهما للنيران وقالتا بصوت واحد: «إجنيس-ديسيندتسي-كُم-تينيبرايي!»، فتفجرت الأرض لتخرج مياه سوداء، ابتلعت النيران في لحظات، فضحكت تميمة وقالت: «عظيم، لقد أحسن الملعون تعليمكُما. والآن، قاوما هذا...»، ثم صرخت بصوت مُفزع وقالت: «إيجو- فوكارِ – فيرتيوتِ – ناتيوارِ»، فانطلقت جذوع الأشجار بسرعة رهيبة، وأمسكت بذراعيّ وساقيّ لوتارا وزيرا، فظلتا تقاومان في محاولة لتخليص أنفسهما، ولكن بلا فائدة. اقتربت تميمة وهي محلقة في الهواء، ثم قالت بغضب: «والآن، سوف أمتص قواكما من جسديكما النتنين... نيوترِ-إنتيباس-بوتينتيام-تاوم ... ستاتِم!»، أنهت جملتها بتلك التعويذة ثم وضعت يديها الاثنين على صدر الفتاتين، فصرختا بقوة حين بدأت دوامتان من الدُخان الأسود تتكونا على صدريهما، لتنتقل تلك الأدخنة شيئًا فشيئًا في يدي تميمة، مرورًا بذراعيها، حتى امتصها جسدها بالكامل، فأصبحتَ الفتاتان خائرتين القوى، لا تقدران إلا على

التنفس، وبصعوبة.

هبطت تميمة على الأرض، ونظرت بعينيها المشعتين لـ إربيا، التي كانت تحتضر ببطء. فجثت تميمة على ركبتيها بجوار إربيا ثم وضعت يديها على صدر الأخيرة وقالت: «أنا ملكة الموت والليل، أُعيد لكِ يا ابنة النور، ما سُلِبَ منكِ عنوة»

شهقت إربيا، ثم وجدت نفسها مستلقية في مكان مُظلم، وظهر من فوقها مرآة، تعكس جسدها المستلقي على الأرض، وبداخل المرآة كان يوجد كائن أسود يمسك بانعكاسها بقوة، خشيةً أن يفلت من يديه، فإذا بالانعكاس يبعد يد الكائن عنه، ويسقط مباشرة فوق جسد إربيا. وفور ملامسته للجسد، استيقظت الساحرة البيضاء، تنفست الهواء بقوة، كمن كانت تتعرض للغرق وخرجت بأعجوبة لسطح البحر.

«لقد نجحت الشعائر، لقد نجحنا يا ....»، خرست إربيا فجأة حين رأت التغيير الذي طرأ على تميمة، فركعت سريعًا وقالت: «العفو يا أمنا العظيمة، أرجو أن تسامحيني، لقد انجرفت في...» قاطعتها تميمة وأمسكت بيديها، وأوقفتها على قدميها، ثم نظرت لها بعينيها المشعتين، وابتسمت وقالت: «أنا لست مدينة لكِ بحياتي بعد الآن، لقد سددت ديني». ابتسمت إربيا في سعادة، ثم التفت

الاثنتان للساحرتين المكبلتين حين سمعتا صوت ضحكاتهما التهكمية، فاقتربتا منهما بصحبة الساحرات الأربعة، حينها قالت زيرا ولوتارا بصوت واحد: «إنها البداية فقط، قاوموا ما هو آتٍ إن استطعتن...الرُعب الأعظم سيطرق باب مدينتكن الليلة»، فرفعت إربيا يديها وقالت: «سِت-إجنيس- أرديبيت- إن- تي»، فاشتعل جسديهما بلهب أزرق، وظلتا تصرخان بقوة من شدة الألم، ثم قالتا في صوت واحِد جملتهما الأخيرة: «من أجلك يا ملك العالم السُفلي، نحترقُ في سبيل ظلامك الأبدي».

عادت ملامح تميمة كما كانت، واختفت تلك العينين المشعتين وعاد شعرها الأسود الممزوج بالخُصل الحمراء، فاحتضنتها إربيا لثواني قليلة كأم قتلها الاشتياق إلى ابنتها، ثم ربتت على رأسها بيديها، وقالت: «بوركتِ يا ابنتي، لقد انتصرتِ في معركتك الأولى، وأنقذتِ حياتي وحياة أخواتي الصغيرات – وأشارت بيدها للأربعة ساحرات الراكعات خلف تميمة- نحنُ الآن على مشارف الأسوأ مما قد يحدث الليلة، أشعر بالشر يقترب بقوة، ملك الظلام سيرسل معوانيه جميعًا، إن لم يكُن هو ذاته حاضرًا ليقتنص بيديه ما يعتقد أنه ينتمي إليه»، هزت تميمة رأسها، ثما نظرت للساحرتين المتفحمتين خلف إربيا، وأعادت النظر إليها في حزن، ففهمت إربيا مقصدها وقالت: «ارمي بأثقال الهم عنكِ، أنا أعلم جيدًا

أن لوتارا وزيرا لن تعودا كما كانتا، حين تصعدان من أعماق الجحيم ... سنصلي لروحيهما المُغتصبتين، عسى أن يغفر لهما الرب».

«ألن يهدموا ذلك المنزل اللعين؟ أنا أكره وجوده في الحي»، قالها أحد الشباب الذي كان يتسكع ليلًا، وهو يراقب المنزل من الزقاق المقابل للمنزل الملعون، فأجابه صديقه وهو يشعل سيجارة: «وما الضير فيه يا صديقي؟ هو مجرد منزل، حاله كحال جميع المنازل غير المسكونة»، وفي لمح البصر، اقتنص منه صديقة السيجارة من بين شفتيه، ثم وضعها في فمه وقال: «أقسم لك أنني أسمع أصواتًا تصدُر من داخله حين أعبر من أمامه كُل ليلة، ألم تسمع أي شيء أنت الآخر؟»، ضحك الصديق من قلبه حتى سعل بشد إثر اغتصاب القطران برئتيه، ثم قال: «عار عليك أن تكون بهذا الحجم من الشوارب، وتقول لي مثل هذا الكلام ... أتخاف من الأشباح أيها الداعر؟» ارتبك الصديق قليلًا، وحاول أن يداري ارتعاش قدمه اليسرى من التوتر، ثم قال «لا، قُلت لك أنني أتوتر فقط، أنا لا أخاف».

فابتعد صديقه عن الحائط الذي كان يستند إليه، وعبر الشارع وتوجه إلى المنزل، وحين وصل إليه قال: «أنا هُنا يا معشر الجِن والعفاريت، إن كان بينكم رجُل فليظهر لي»، ثم أخرج مطواته «قرن الغزال»، وفتحها بمهارة شديدة، وظل يلوح بها أمام المنزل، فانتفض صديقه وقال له في

خوف: «ارجع أيها الأحمق، ابتعد عنه»، ولكن ظل صديقه المغوار يستعرض مهاراته أمام المنزل، ويسب فيمن يسكنوه وفيمن يتجرأ على الظهور إليه، حتى اهتز المنزل فجأة. «ارجع أيها الداعر الأحمق، قُلت لك ابتعد عنه»، قالها الصديق المرتعد لصديقه الذي تشنج من هول الموقف، ونظر إليه غير مستوعب لما يحدث، بينما ظل المنزل يهتز بقوة، حتى خرج منه دخان كثيف للغاية، أسود اللون، وتوجه في كُل مكان من المنطق، وإذ بخيط رفيع من الدخان يدخل في عينيّ وأنف الصديق الذي كان يستعرض منذ قليل، فظل يرتعش بقوة، ثم ابيضت عيناه تمامًا، وفتح فاهه وصرخ بقوة، ثم ركض تجاه صديقه المصدوم، ليسقطه أرضًا، وينهال عليه بالطعنات في صدره وبطنه، وما كان من صديقه غير أنه كان ينظر في صدمة لصديقه، غير مصدقٍ لما يحدث من تغيير قد طرأ على صديقه، وقبل أن تشخص عيناه في السماء، كان آخر مشهدٍ يراه، هو الكم الهائل من الوحوش المجنحة المفزعة، التي خرجت من المنزل الملعون بصحبة الدخان.

وظل الدخان ينتقل من رجل للآخر، ومنزل للثاني، حتى أصيبت المنطقة كلها بعدوى الجنون والقتل، وعلت أصوات الصرخات في حي المنشية، ليصبح الجنون هو اللغة السائدة التي غلبت على هدوء الليل القاتل، وكان آخر من شهدوا ذلك المحفل الجنوني، بومة بيضاء، محلقة في الفضاء تتطلع

بهدوء لما يحدُث، ثم طارت بقوة وبسرعة جنونية، وضمت جناحيها حول جسدها ثم دارت حول نفسها عدة مرات حتى اختفت فجأة، دون أن تترك أي أثر.

***

وقف على تلك الصخرة الكبيرة وسط البحر، يعقد يديه خلف ظهره، ويتطاير طرف عباءته الحمراء في الهواء من شدة الرياح، بينما كان يقف خلفه كائن مزدوج الرأس، يتابع سيده الذي كان يراقب في صمت إلى أن مل من الوقوف في هدوء وقالت ريا بصوت وحشيّ في ضيق: «إلى متى ذلك الوقوف كالأصنام، القلعة أمامنا، كُل ما علينا هو أن نهجم هجمتنا يا سيد الظلام»، فقال الدنس ذو العباءة الحمراء بصوت أعمق من دركات الجحيم السبعة: «الصبر يا ابنتيّ، تخلصا من تلك العادة البشرية القاتلة واصبرا قليلًا، دوركما آتٍ لا محالة»، فقالت سكينة في غضب «لقد قضينا سنوات عديدة بذلك المظهر المشوه، لم نعصِ لك أمرًا، ولم نناقشك في أي كلمة ... نريد الخلاص من ذلك المظهر المشوه الذي حكمت علينا به دون وجه حق ... فعلنا كُل ما طلبت منا، وجلبنا أرواح السبعة عشر عاهرة، وقضينا سنين عديدة في الجحيم معك، و ...»، التفت إليهما الشيطان في بطء وقد احمرت عيناه كالجمرات، وقال وقد تبدل صوته «حذار

أن ترفعي صوتك حيت تتحدثين معي»، ثم أشار لرأس سكينة بإصبعه، لتلتف الرأس حول نفسه بهدوء، فصرخت سكينة من شدة الألم، وظلت تصرخ بصوت هو مزيج من ألم البشر والوحوش معًا، حينها فزعت ريا وسقط الجسد على ركبتيه، وقالت: «أستحلفك بالجحيم ودركاته العظيمة أن تتركها، أختي غبية وجاهلة، لا تعرف ماذا تقول وقت غضبها»، فأجابها الشيطان «أنا الغضب، أنا الدماء والقتل، أنا ملك الخُبث والخبائث، سأفنيكما في لمح البصر إذا ما تجرأتما على التدخل فيما لا يعنيكما»، فهزت ريا رأسها بينما كانت أختها تصرخ ورأسها قد أوشك على الالتفاف بزاوية ١٨٠ درجة لترى البحر من خلفها وضوح الشمس. حينها، أشار الملعون بإصبعه الذي كان يوجهه لـسكينة للأسفل، ليطلق سراحها، وتسقط رأسها على صدرها لتتنفس الصعداء. ابتسم الخبيث كعادته بعد كل موجة غضب وقال برقة: «يا ابنتيّ، لقد أوشك جنودي على الوصول، وسيلتهمون كُل من بالقلعة من ساحرات مدنسات. حينها، ستأتي لنجدتهن الملعونة إربيا بصحبة حفيدة هيكاتي. وتلك هي اللحظة الحاسمة للصيد ... ألم تشتاقا إلى الصيد يا ابنتيّ؟» فابتسمتَ الأختان في لهفة، مما جعل الملعون يضحك بسعادة ضحكة متوحشة، ثم التفت إلى القلعة وقال: «ها هم صغاري، لقد جاءوا أخيرًا»، حينها ظهر من السماء كائنات مجنحة عملاقة، اقتربت

بسرعة من القلعة، حيث علت الصرخات والتعاويذ، واندلعت حرب شنعاء.

***

سقطت إربيا أرضًا على ركبتيها، فأسندنها الساحرات الأربعة، لتقف على قدميها مرة أخرى، ونظرن في عينيها، ليجدن أن عين البوم قد اختفت، وعادت عيناها الطبيعيتان مرة أخرى، قالت لها تميمة: «أشعر بشيء رهيب، ماذا حدث؟»، قالت لها إربيا: «لقد خرج شياطين العالم السفلي من تلك البؤرة الملعونة متجهين للقلعة، وخرجت معهم لعنة مظلمة قد أصابت الأهالي، وستنتشر تلك اللعنة لتصيب المدينة بأكملها، يجب أن نذهب جميعًا في الحال إلى القلعة لإيقافهم وإنهاء كُل شيء. تميمة، أنتِ الآن مستعدة للمواجهة بنسبة كبيرة، لا أريدكِ أن تبذلي كُل طاقتك، دعينا نتشاطر الحِمل معًا فيما هو آتٍ ... المجد للساحرات!»، صرخت بالجملة الأخيرة فرددن خلفها الساحرات الأربعة صارخين «المجد للساحرات!» ثم ابتعدت إربيا عدة خطوات وقالت: «تعويذة الرياح يا بنات هيكاتي» فشكلن جميعهن دائرة، عدا تميمة التي توسطتهن، وابيضت عيناها، ثم تطاير شعرها من حول رأسها وقالت: «دي فينتوس- نو بورتارِ بِر آوراس!»، فإذا بهن جميعًا يرتفعن عن سطح الأرض، ويطرن بسرعة،

مرورًا بالشوارع حتى أصبحن يحلقن فوق سطح البحر الذي غلبت عليه ظلمة الليل. شعرت تميمة بسعادة عارمة، يغلبها الخوف والرهبة من ذلك الشعور الذي جربته لأول مرة، متناسية ما هي على وشك مواجهته، حين سمعت صرخة فظيعة، التفتت لتجد كائنًا أشبه بالخفاش، يمتلك قرنين صغيرين، وأنفًا يشبه أنف الخنزير، تلمع عينيه الحمراوين في ظلمة الليل، ويمسك بإحدى الساحرات الأربعة من الخلف بذراعين مفتولي العضلات، ثم أحاطها بجناحيه العملاقين حتى اختفت بداخله، وغطس بها في البحر، كُل ذلك في غضون ثوانٍ معدودة، فصرخت إربيا «جَرجويلات مُظلمة، أعوان الشيطان خلفنا!»، وتوالت تلك الهجمات على باقي الساحرات الأربعة، حتى لقين جمعيهن حتفهن غرقًا بينما كانتَ إربيا وتميمة يحلقان في اتجاه القلعة.

وإذ بالوحوش تخرج مرة أخرى من المياه مرة، وتطير لأعلى ويتوجهوا صوب إربيا وتميمة، فالتفت كلتاهما وأصحبتا تحلقان على ظهريهما، ثم وجهت إربيا يديها الاثنين تجاه اثنين من الوحوش وصرخت قائلة: «ريداير آد أومبراس، فيليوس ساتانِ!»، فظهرت دوامة مشتعلة في الهواء، وسحبت المخلوقين الصارخين بداخلها واختفت. أما تميمة فقالت بصوت مزدوج الطبقات: «فريجيدوس، إن بريسينتيا هيكيت إست-سيمين!»، وعلى الفور تجمد

المخلوقان مكانهما، وضمت تميمة قبضتيها ثم فتحتهما لتنفجر أجساد الكائنات وتتساقط أشلاؤها في البحر.

نظرت إربيا النظرة الأخيرة على البحر الذي ابتلع بناتها الأربعة -كما اعتادت أن تطلق ذلك النسب على جميع متدرباتها- في حُزن، وعقدت حاجبيها في غضب وقالت: «سيدفعون الثمن بدمائهم العفنة»، وانطلقتَ كلتاهما تجاه القلعة التي تعالت منها أضواء التعاويذ التي كانت تطلقها جميع الساحرات نحو خطر قد أعلن عن وصوله.

اقتربت الساحرتان من سطح القلعة، وحلقتا على ارتفاعٍ ليس بعالٍ فوقها فوجدتا خطوط دفاع الساحرات يحاولن بشتى الطُرُق صد هجوم تلك الكائنات البشعة؛ بنات من الجن المُظلم ذوات أجنحة كبيرة وقرون صغيرة مدببة، وأرواح سوداء تملأها الضغينة والحقد، تغدر بالساحرات وتتلبس بهن فيهاجمن بعضهم البعض، في حين أن الساحرات الشجاعات كُن يدافعن بأقصى سرعة وقوة، غير مبالين بالعواقب.

رفعت إربيا يديها نحو ساحة المعركة، وقالت لـ تميمة: «سوف يلقين حتفهن، الهجوم كبير للغاية ... سأعزز قواهن بأرواح الأربعة شهيدات»، ثم أعادت ذراعها اليمنى للخلف، ووجهتها نحو مكان غرق الساحرات، بينما أشارت باليسرى تجاه المحاربات الشجاعات، ثم قالت بصوت قويّ: «إنوميني

ساكنتاروم ماليفيكاروم أنيماروم»، فخرج من المياه أربعة هالات مضيئات، امتصتها إربيا بأيديها، ثم صرخت وقالت بينما توجه يديها للساحرات: «تراهونت إنوميني هيكيت!»، فانطلق شعاع ضخم مضيء تجاه الساحرات المحاربات، لتمتصه أجسادهن على الفور، وعلت صيحاتهن بغضب، وهن يجهمن بأقصى ما يملكن من قوى.

«تميمة، يا حفيدة الملعونة...تعالِ لمواجهتنا، لنرَ من يستحق الحياة الأبدية والقوة المُطلقة»، زحفت تلك الكلمات ببطء بداخل أذني تميمة فالتفتت إلى اليسار، لترى ثلاثة أزواج من العيون الحمراء، تلمع في الظلام، في وسط البحر. «لا تتبعيه يا تميمة، دعينا ننهِ ما يحدث في القلعة أولًا، ثم سنواجهه هو وبناته معًا ... لا تنساقي وراء ندائه الملعون يا ابنتي»، قالتها إربيا وهي تصوب الشعاع تجاه الساحرات، فنظرت لها إربيا وقالت: «ثقي بي يا سيدتي، اليوم سينتهي كُل شيء ... طيري للقلعة وقفي بجانب بناتك.» والتفتت ونظرت للعيون الحمراء اللامعة وقالت بغضب: «وأنا سأسحقهم جميعًا»، صرخت إربيا فيها «احذري يا ابنتي، احذري ألاعيب ملك الظلام ومعاونتيه ... احذري يا تميمة»

***

طارت تميمة تجاه العيون الحمراء بسرعة شديدة، ظلت تردد في سرها «هيكاتي، يا أم الساحرات، أمديني بقوتك... أمدي آخر نسلك بقوتك العظيمة»، وحين اقتربت من الجزيرة، التفت في الهواء لتهبط على الأرض الزلقة الممتلئة بالأعشاب البحرية. نظرت يمينًا ويسارًا، فلم تجد أي شخص، ثم بدأ يتسلل في أذنها صوت هامس قائلًا: «عظيم ... أنا مُعجب جدًا بإصرارك على المواجهة، نعجةٌ بريئةٍ أنتِ، ساقها الغضب لحتفها المحتم حدوثه». التفت تميمة يمينًا ويسارًا باحثةً عن مصدر الصوت، فلم تجد أي شخص، فتنفست بهدوء وأغمضت عينيها وقالت: «بحق شعلة الضياء المقدسة، أنيري ظُلمات طريقي»، فاشتعلت دائرة من اللهب الأزرق حول حواف الجزيرة، ومع ملامسة أطراف الدائرة ببعضها البعض، ظهر الملعون بعباءته الحمراء، وبجانبه كان يقف ذلك الكائن المشوه، بجسده العاري الممتلئ بالتقيحات، والرأسان يبتسمان في سعادة لوصول ضحيتهم المنشودة.

ظلت تميمة تسير بتحفُز يمينًا ويسارًا وهي تراقب تلك المخلوقات المُفزعة، ثم قالت بقوة «إذًا أنت هو ذلك الكائن الذي يهابه الجميع، لا تبدو لي أكثر من رجل يرتدي عباءة نسائية حمراء»، فضحك الشيطان من قلبه وقال: «لم تكُن

هيكتيا في مثل خفة ظلك يا صغيرتي، حقًا أعجبتني مزحتك ... دعيني أعرفك بابنتيّ ... ريا وأختها الملعونة سكينة ... أخ... دعيني أقدمهما لكِ بشكل أفضل» ثم طابق الشيطان يديه، وأبعدهما عن بعضهما البعض ببطء، لينفصل جسد الأختين الواحد لاثنين مستقلين بذاتهما، ثم قرفصتَ الأختان كالحيوانات المستعدة لهجوم، ابتسمت سكينة وقالت: «مسكينة أنتِ...أشعر بالشفقة تجاهك، ستموتين وحيدة بلا أحد ليساعدك»، فابتسمت تميمة وقالت: «ومن قال إنني بمفردي؟»، ثم ظهر من خلفها ضباب أسود، خرجت منه سيدة عجوز، محنية الظهر، ترتدي عباءة من القماش الأسود المهترئ، تمسك بعصا خشبية بنية اللون، منحوت مقبضها لهيئة رأس أفعى، ووقفت بجانب كتف تميمة الأيسر.

قالت العجوز: «أنا مامبا-نوار، ساحرة الثعابين، قاتلة الأطفال، من يهابني الجميع ... في خدمة سيدتي تميمة، حفيدة هيكاتي العظيمة»، تبعتها في الخروج من الضباب شيطانة رمادية اللون، عيناها تضويان في الظلام، ذات قرون صغيرة، عارية الجسد تمامًا، وقالت للشيطان وأعوانه: «أنا جنية الغابات، آكلة الرجال، متغيرة الأشكال، أنا كور-بوريا... في خدمة سيدتي تميمة، حفيدة هيكاتي العظيمة»، ثم تحدثتَ كور-بوريا ومامبا-نوار قائلتين: «أقسمنا على الولاء لسيدتنا العظيمة، معها حتى النهاية ... نهايتك أنت

وأعوانك»، ضحك الشيطان بشدة كالأطفال وقال: «ما أغرب تلك اللحظة، بدلًا من أن تكونا في صفي بحكم طبيعتكما النجسة، أنتم في صف تلك العاهرة مختلطة الدماء»، فقالت كوربوريا بخبث «عذرًا سيد الظلام، ولكن هل تضاهي قوتك قوة آخر نسل هيكاتي العظيمة؟ لو كنت بمثل هذة القوة، فلم يكن هذا حالك؛ مكبل أغلب الوقت في العالم السفلي، بينما يحكم غيرك العالم بشتى أنواع ساكنيه»، غضب الشيطان من كلمات كوربوريا، ثم مد يديه الاثنتين، واقتربتَ كل من ريا وسكينة، فوضع يديه على رأسيهما وقال: «إن نوميني إنفيرنام، إيجو ديفيديري أنيما ميا».

شهقت كور-بوريا وقالت: «تعويذة ارتقاء الأرواح، الشيطان سيشرع في تعزيز قوى الأختين بقواه الروحية النقية»، فقالت لها تميمة: «لا هرب اليوم مثلما حدث من قبل. فإما أن تواجها بحق العهد الذي بيننا بخدمتكما لي ... أو أقتلكما بيديّ!» فقالت مامبا-نوار وهي تمسك بعصاها بقوة: «معكِ حتى نهايتهما يا سيدتي ... مستعدة يا كور-بوريا؟»، فقالت الأخيرة بصوت وحشيّ وابتسامة أكثر وحشية بعد أن استعادت رباطة جأشها: «على الأقل سيتسنى لي أن أتذوق دماء الشيطان التي تجري في عروقهما».

زحفت ريا وسكينة كالسحالي بقوة تجاه كور-بوريا

ومامبا-نوار، فإذ بـكوربوريا تقفز تجاه ريا وتدور في الهواء موجهةً قبضتيها لها، لتصيبها بلكمة قوية في وجهها، فإذا بالشيطانة تسقط على ظهرها بجانب سيدها الذي نظر لها باشمئزاز، فنهضت سريعًا وتنشقت الهواء بقوة، ثم نفثته لتخرج من فمها نيران جحيمية تجاه كو¬ر-بوريا التي مدت يديها بسرعة ولاصقتهما ببعضهما البعض، ثم باعدتهما وقالت وهي تصرخ: «إيفانيسيت، تو فلاميس» فانقشعت النيران، إلا من جزء بسيط قد أحرق خدها الذي التئم سريعًا بعد أن لامسه اللهب لمدة ثوانٍ قليلة. بينما دقت مامبا-نوار بالعصا الثعبانية الخشبية على الأرض بعدما قالت بصوت كفحيح الأفعى: «تينسيدانت-تيمبوس»، فتجمدت سكينة في الهواء، ثم صرخت قائلة «فاكاريتِ، ماجنوس سيربنس» لتخرج من الأرض أفعى سوداء عظيمة، وتقفز لتلتف حول سكينة جسد سكينة المشوه، وتعتصره بقوة، فدارت سكينة حول نفسها عدة مرات، فتمزقت الأفعى، وسقطت أشلاؤها على الأرض.

بدأت المعركة بين معاونتي تميمة وابنتيّ الشيطان، هجمات وقفزات، تعاويذ غريبة، معركة ملحمية ممتلئة بكُل أشكال الخوارق التي ما كان لبشر أن يستوعبها إذا ما كان قُدِرَ له أنه يخترق ذلك العالم الأثيري غير الظاهر لبني آدم. أما تميمة، فكانت في معركة نفسية رهيبة بينها وبين الشيطان، تقف هي وهو على أطراف الجزيرة، كُل

في الجانب الخاص به من المعركة، ينظران لبعضهما البعض في ترقُب ممتلئ بالحقد والكراهية من جانب الساقط من السماء، وآخر مُشبع بالانتقام من جانب حفيدة هيكاتي.

تسللت كلماته الخبيثة بداخل أذنها دون أن ينبس ببنت شفةٍ، فقال: «أنتِ غير قادرة على تحمُل تلك القدرات العظيمة، سيفنى جسد البشري لعدم قدرته على احتوائها ... أعطها لي في سلام، وسينتهي كُل شيء»، ابتسمت تميمة في خبث ونظرت له بقوة، فارتجف حين سمع كلماتها وهي تجتاح عقله قائلةً: «لا تمارس ألاعيبك الطفولية عليّ، ثم إن ميراث العظماء أنقياء الدم، سينتقل لنسلهم الطاهر ... لا لآخر مدنس وملعون!»، «إذًا، فلا سلام بيننا ... وسأنتزعها من جثتك العفنة».

همس الشيطان بتلك الكلمات في عقل تميمة، ثم مد يديه ببطء إلى طرفي العباءة، وباعدهما عن بعضهما البعض ليكشف عن جلد معدته الأحمر الذي كان ينبض ببطء، ثم ظهر من أسفله وجه تلو الآخر، وجوه عديدة وكأنها تحاول الخروج منه ولكن بلا فائدة، ثم همس الملعون قائلًا: «لا تقلقي، لقد احتفظت لكِ بمكان لروحك القذرة، ستنضمين لهم بعد قليل»، نظرت تميمة لتلك الأفواه الصارخة من داخل معدته في فزع، عشرات الوجوه محاصرة بداخل جسده

الدنس، أفواه مفتوحة بالصرخات المكتومة، لوحة متكاملة من المعاناة واليأس تشيب لها الرؤوس حين تراها.

ظلت كلماته تتردد بداخل أذنها بوعود عن الدمار والموت، فأغلقت عينيها، وصبت كُل تركيزها على تجاهل كلماته، وحين وصلت للسلام النفسي اللحظيّ، قالت بكل قوة: «بحق الظلام والنور، بحق الجِنان والجحيم، يا من تمشينَ في أودية الموت بلا خوف لتضيئيها، وتبتلعين الضياء ليطغى عليها الظلام المُفزع، بحقك يا هيكاتي العظيمة، فجري طاقات قوتك في جسدي البشري لأسمو وأدمر ذلك الملعون».

بدأت مياه البحر في التباعد عن الجزيرة، ثم تطايرت شعيرات تميمة في الهواء متحدية الجاذبية، وبهدوء فتحت عينيها اللتين أصبحتا باللون الأبيض والأسود كُلٍ على حدة، وعلى جبينها ظهر الوشم نفسه المشابه لما على يدها؛ نجمة خماسية محاطة بدائرة ملتصق بالأخيرة من جهة اليمين واليسار هلالان معاكسان لبعضهما البعض، ويخترق الدائرة ثلاثة حراب ثلاثية متقاطعين في المنتصف، المختلف تلك المرة أن الوشم كان يضوي بلون أزرق ساطع، يكاد يُرىَ وجه تميمة من شدة ضيائه.

توقفت المعركة بين كُلٍ من كور-بوريا وماما-نوار ضد ريا

وسكينة حين لفت انتباههما ما يحدُث، كان الجميع ينظُرُ بقلق وخوف لعملية استحواذ روح هيكاتي على جسد تميمة، بينما كان الشيطان يملأه الغضب من تلك القوى العظيمة المنسابة من بين يديه، فمد يديه ونزع عنه العباءة الحمراء، ليظهر جسده الشيطانيّ المتعارف عليه، وينفردَ جناحاه في الهواء، ثم رسم يده ووضع إصبعه السبابة على صدره، ورسم نجمة خماسية معكوسة، فاشتعلت أضلعها بنيران حمراء، ثم قال بصوت عالٍ: «لنغير أرض المعركة، فيني آد-ميام-مونديٍ...ليمبو تيرّا».

وإذ به يرتفع عن سطح الأرض بصحبة تميمة، ثم اقتربا من بعضهما البعض بسرعة، وظهر بينهما دوامة أرجوانية اللون، سحبتهما بداخلها على الفور.

وقفت إربيا على سطح القلعة تتطلع باهتمام، بينما كانت الساحرات يقتلن آخر المخلوقات المُفزعة، ثم اقتربن منها ليجدنها تراقب الجزيرة في قلق، فقالت إحداهن: «ماذا سنفعل الآن؟»، فنظرت لها إربيا بتوتر، ثم جلست على الأرض، وقرفصت قدميها وأغمضت عينيها وقالت: «صلي وأخواتك لتميمة بأن تستطيع المقاومة، لقد سحبها الساقط من السماء لأحد أبعاده الشيطانية ... أرض النسيان»

***

ملامح من الماضي، ذكريات من الملجأ، نظرات البنات وهُن يقُلن لها: «ساحرة، لقد أيقظت الفأر بعد أن مات ... ساحرة»، بكاؤها ليلًا في غرفة الفتيات فور رؤيتها لشيطانتين تحدثانها من مرآة الغرفة، ظهور ملك الذباب لها على الطريق، ريا وسكينة تقتلان إحدى السيدات وتشربا دماءها، والداها يموتان في موجة غضبها وهي في المهد ... مجموعة من المشاهد المُفزعة ظلت تتراقص أمام عينيها وهي تسقط في بئر تلك الدوامة التي كانت تدور بلا نهاية، جاذبةً إياها للأسفل. سقوط حُر بشكل عشوائيّ دون القدرة على التمسك بأي شيء قد ينقذها من السقوط، حاولت التركيز على إطلاق قوتها، ولكن بلا فائدة، نسيان كامل يغلُبُ عليه التوتر

واليأس.

«أنتِ الآن في عالمي، اليأس هو ما يغلُبُ عليه، الخوف هو ميثاقه، والموت هو النجاة الوحيدة منه»، سمعت تلك الكلمات تتسلل بداخل أذنيها، قبل أن تنتهي الدوامة، لتجد نفسها في ظلام رهيب، تقترب بسرعة من أرضة خراب، مُدمر كُل شيء فيها، مباني مهدمة بالكامل، الظلام يغلب على المكان. فسقطت على الأرض وارتطم جسدها بالتراب، استجمعت قواها وحاولت الوقوف على قدميها، ثم نظرت حولها لتجد مشهد مُخيف؛ العديد من الحيوانات النافقة، أجساد بشرية في طور التحلل، أطفال رضع بلا أطراف يصرخون من الخوف.

ازدادت دقات قلبها، بدأ اليأس في التملك من عقلها، تجلى الخوف على أطرافها المرتعشة، ثم سمعت من يناديها، «تميمة، اهدأي يا ابنتي، كُل ما تريه ليس حقيقيًا ... اهدأي وتنفسي»، كان صوت إربيا هو من كان يسيطر على مشاعرها، فهدأت أعصابها من كم الدفء الذي شعرت به من صوتها المطمئن، وتنفست الصعداء، وهدأت تمامًا، وبدأت في استكشاف المكان.

***

دام القتال على الجزيرة لمدة طويلة، معركة شيطانية

يقاتل كُل من فيها بأقصى ما عنده، قفزت ريا في الهواء تجاه كور-بوريا وقبل أن تصد الأخيرة هجمتها، اختفت ريا ثم ظهرت من خلفها وأحاطتها بذراعيها وساقيها لتكبلها، فصرخت كور-بوريا «إنفيرنام!»، فاشتعل جسدها بالكامل وانفجرت النيران منه لتقذف بها في الهواء، صرخت ريا وهي تطير في الهواء وقالت قبل أن تقترب من المياه: «أيتها الشيطانة العاهرة، ملعونة أنتِ يا خائنة العهد يـــ..»، وقبل أن تكمل وابل الشتائم، خرج من المياه رأس عملاق أشبه برأس التمساح مع قصر حجم الخطم، ممتلئ بالحراشف، وفتح فمه ليبين صفوف أسنانه الحادة كالسيوف، وشرع في ابتلاع ريا في لمح البصر، ثم غطس مرة أخرى في المياه واختفى، فركعت كور-بوريا على ركبتيها وقالت: «بوركت يا ملك الأعماق المُظلمة»، ثم وقفت ونظرت لسكينة التي وجهت لها مامبا-نوار عصاها، فخرجت منها هالة سوداء أطاحت بها أرضًا.

اقتربت كلتاهما –كور-بوريا ومامبا نوار- من سكينة، فقالت لهما: «لن تكُون تلك هي نهايتنا، نحنُ خالدتان للأبد في عقول الصغار والكبار ... نحنُ الخوف الأعظم، نحــ..»، فقاطعتها مامبا نوار قائلَة بقوة: «سايسليم، بير إيجونيم!»، فشبت بها النيران من العدم. ظلت تحاول أن تطفئ نفسها بيديها وهي تصرخ فوجهت كور-بوريا يدها تجاهها وضمت أصابعها

وقالت: «أسينديريم!»، فارتفع جسد القبيحة المحترقة في الهواء، ثم صرخت كور-بوريا وقالت وهي تفتح أصابعها بعصبية: «إبيورنياي!» فانفجر جسد سكينة وسقطت أشلاؤها في البحر. نظر كل من كور-بوريا وماما-نوار للقلعة، ثم نظرتا لبعضهما البعض، فقالت كور-بوريا «أظن أن دورنا قد انتهى، على الأقل إلى الآن»، فهزت ماما-نوار رأسها وقالت: «إلى أن نلتقي قريبًا»، ثم ركضت بسرعة، وقفزت عن الجزيرة لتتحول إلى بومة سوداء كبيرة، وتطير في السماء حتى غابت عن الأنظار.

تنهدت كور-بوريا، ثم قالت لنفسها: «أرجو أن تنتصري يا تميمة، وإلا تجرعنا جميعنا نيران الجحيم ... شياطين وبشر»، ثم نظرت النظرة الأخيرة للقمر الأحمر، الذي كان في طور الرجوع لمظهره الطبيعيّ، ثم مشت تجاه البحر لتظهر لها من العدم سحابة سوداء، فدخلت في قلبها فابتلعتها على الفور، واختفت بلا أي أثر.

***

ظلت تميمة تتجول يمينًا ويسارًا بحثًا عن الملعون، بينما استمرت كلمات إربيا في التسلل بداخل عقلها لتطمأنها، «لا تصدقي ما ترينَ، صدقي قوتكِ ونفسكِ فقط، أنتِ حفيدة هيكاتي، ملكة الظلام والنور، من لها السيطرة على العالمين»،

إلى أن وصلت تميمة إلى بوابة حديدية متهالكة يملأها الصدأ. فتحت البوابة بيديها لتجد جسرًا خشبيًا طويلًا، ظلت تمشي بحذر عليه، ثم سمعت أصوات مياه جاري تتخبط بصخور، فنظرت للأسفل لتجد نهرًا من الدماء، يتخبط في تياره مخلوقات صارخة بجملة واحدة: «اقفزي يا تميمة، انضمي إلينا»، فتجاهلتهم الفتاة ومضت في طريقها، حتى وصلت إلى آخر الجسر.

وجدت تميمة نفسها على أعتاب حديقة كبيرة، تعلو أشجارها أسراب كثيرة من الغربان، ظلت تراقبهم في صمت وهي تقول لنفسها: «ارشديني للصواب يا أم الساحرات، وجهيني للطريق الصحيح»، حتى لفت انتباهها أصوات مختلطة من البشر وغيرهم من كائنات، نظرت تجاه الصوت لتجد أضواء تأتي من منطقة معينة، مصحوبة بأصوات فرقعة عالية. بدأت تميمة في الهرولة، ثم الركض بقوة، حين تبينت ملامح قد رأتها من قبل في أحلامها، ملامح والديها اللذين كانا يصدان هجمات ذلك الجيش الشيطانيّ اللانهائي، كانا يخرجان تباعًا من حفرة موقدة في الأرض.

ركضت تميمة وهي تصرخ: «أبي، أمي...لا تقلقا أنا قادمة»، ظلت تركض بكُل ما في وسعها وهي تحاول إيقاظ قواها، ولكن بلا فائدة، وما أن أوشكت على الاقتراب، وأصبحت

الرؤية واضحة، رأت والديها وهما يجثيان على الأرض محيطين شيئًا صغيرًا يتحرك بذراعيهما، ثم علت صرخات ذلك الشيء وضوت الأنوار منه، فحدث انفجار إشعاعيّ رهيب، دمر كُل المحيطين به، وأطاح بتميمة بعيدًا عنه لعدة أمتار. وقفت على قدميها وهي تسعل، ثم اقتربت بسرعة من مكان الانفجار، ودنت من ذلك الطفل المحاط بأغطية قماشية سوداء، ونزعت عنه تلك الأغطية، ففوجئت بطفلة صغيرة حمراء البشرة، لها قرنان، عيناها مغمضتان. فزعت تميمة ورجعت للخلف ببطء، ثم فتحت الطفلة عينيها، فرأت تميمة زوج من العيون الحمراء كالدماء، تنظران لها في صمت، ثم تحدثت الطفلة بصوت مُرعب وقالت: «أنا هو أنتِ، لا نختلفُ عن بعضنا البعض، كلانا شيطان في عالمه الخاص».

التفتت غير مدركة ما يحدث، لتجد الملعون يقف أمامها بعباءته الحمراء، والقلنسوة الخافية لوجهه، عاقدًا ذراعيه خلف ظهره. لم يهاجمها، بل ظل ينظر إليها في صمت، ثم قال: «أنا الملعون في أحاديثكم وأديانكم، لم أطلب الكثير، ولم أحصل على أي شيء ... وُعدت بالخلود الأبدي، ولكني أسير بشكل شبه كامل في الحلقة الأخيرة من الجحيم، فما فائدة الخلود بلا حرية؟ أجعلكم تعصون، وتقتلون في رواياتكم. ولكن لو دققتم النظر فيما يحدث ستجدون أنها

إرادتكم الحرة هي التي عصت وقتلت، وما كُنتُ سوى محلل جيد لحيثيات الأمور ... لو كان أحدنا هو الشرير في تلك الرواية، فهو أنتِ يا تميمة؛ استحوذتِ بطمعكِ على قوى ليست من حقك يا مختلطة الدماء، قتلتِ بمنتهى الغضب والديكِ، أغريتِ ذلك البشريّ الفاني بأساليبك الشريرة ثم سلبتِ حياته على سريره ...أتتذكرين ذلك الرجل؟ ها ... من منا الشرير يا تميمة؟»

رجعت تميمة بضع خطوات للخلف، ثم قالت في حزم: «سينتهي كُل شيء الآن ... ولكن قبل أن أقضي عليكِ، قُل لي ما المغزى من كلماتك الخبيثة؟»، تنهد الشيطان وابتسم، ثم قال لها بخبث: «إن كُنتِ تريدين الخلاص، فدعيني أغتنم ما أخذتيه مني، أنتِ فتاة طيبة تسعى لجنة الفردوس، ما لكِ بتلك القوى الشيطانية؟ ستعيشين حياتك في ألم بينما يموت كُل من تحبين من حولك، عودي لطبيعتك البشرية يا تميمة ودعيني أحصد ما كُنتُ أسعى وراءه كُل تلك الفترة»، ثم رسم بيديه دائرة في الهواء، فتحولت إلى شيء أشبه بالبلورة السحرية، لتكشف عن مشهد مروع لأهالي الإسكندرية وهم يقتلون بعضهم البعض، يسرقون وينهبون المحلات التجارية، فوضى عارمة لا نهاية لها، ثم أكمل كلماته قائلًا: «هل ترتضين لهم بتلك الحالة المزرية؟ هل ستتسببين في موتهم هم أيضًا ... مثلما تسببتِ في موت والديكِ؟»،

فنظرت تميمة لمكان الانفجار وهي تتذكر ذلك المشهد المؤسف، ثم سمعت آخر كلمات إربيا تتردد بداخل أذنيها «تحكمين الظلام وحدك، تحملين شعلة الضياء وحدك».

فمدت يدها ذات الوشم للشيطان، فابتسم الأخير، وقال: «كُنتُ أعلم أنكِ ذكية يا تميمة»، فأمسك الملعون بيدها بقوة، وسقطت عباءته عنه ليكشف عن شكله البشع الحقيقيّ، انفرد جناحاه العملاقان وهو يصرخ بصوت وحشيّ، ثم انسابت أشعة زرقاء من جسد تميمة امتصتها يد الشيطان فورًا، وبدأ جسده في التشبع بها، ظل يصرخ في سعادة وهو يقول: «أنا ملك الظلام، أنا العقبات في طريق بني البشر، أنا سيد العالم، أستحوذ الآن على قوة ما تحكم الظلام وحدها، أستحـــ ....»، توقف فجأة عن الكلام، حين بدأ جسده في التحول لشيء آخر ... بدأ جسده في التحول إلى شخص ... بشري.

«ماذا يحدُثُ لي، ماذا فعلتِ؟»، إذ بتميمة تتحول بالكامل لأنثى سوداء البشرة، لها قرنان كبيران، وأجنحة سوداء عظيمة، وتبدلت عيناها باللون الفضيّ اللامع، وقالت بصوت وحشي للشيطان الذي تحول بشكل كامل لشاب بشري، جميل الملامح، مذعور بالبيئة المحيطة به: «لقد قُلتها بنفسك أيها الأحمق، أنا أحكم الظلام وحدي ... وحدي فقط ... في المقابل أعطيتك القوة المُطلقة للخير، فسيطر الظلام المُطلق

عليّ أنا بعد كسر حلقة التوازن ... بينما تحولت أنت لما كُنت تغار منه وتكرهه طوال حياتك القذرة...نسل آدم»

ارتجف الشاب العاري وهو يجثو على الأرض ويصرخ، أصيب بالهلع فور تجريده من قواه الأثيرية، ظل ينظر حوله في ذعر، ثم نظر لـ تميمة وقال: «ارحميني، أتوسل إليكِ أن ترحميني»، نظرت له تميمة وهي تبتسم، ثم قالت: «لم أكُن أتوقع مدى بلاهتك أيها الأحمق ... ساقك الغضب، وحجب عنك التفكير في تلك الثغرة ... لا رحمة لك بحق ما اقترفته في ذلك العالم»، ثم أشارت بيدها تجاهه، فخرجت من الأرض سلاسل ضخمة، كبلت يديه ورقبته وساقيه، اشتعلت لتحرق أطرافه بالكامل. علت صرخاته البشرية وهو يقول: «ارحميني، ارحميني يا تميمة»، فنظرت له وقالت: «والآن، لنعكس الأدوار ... سأسترد أنا ما هو لي من البداية»، ووضعت يدها على رأسه، فخرجت تلك الأشعة الزرقاء منه، بدأ جسدها في امتصاصها بينما كان الملعون يعود مرة أخرى لطبيعته الشيطانية، وقبل أن ينطق بأي كلمة، اقتربت منه تميمة وكسرت قرنيه، الكبار منهما، ثم أشارت بيدها له، فسحبته السلاسل العملاقة ببطء لباطن الأرض، بينما كانت آخر كلماته «الأمر لم ينتهِ يا حفيدة هيكاتي، لنا عودة في ليلة القمر الدمويّ القادمة ... ستنتظرك مفاجأة يا تميمة، الويل لكِ يا تميمة.»

***

وقفت الساحرات على سطح القلعة ينظرن إلى القمر الذي تلألأ بلونه الفضيّ الجميل، بينما كانت السُحُب السرمدية المُظلمة التي غلبت على نجوم السماء اللامعة تنسحب بقوة وتتوجه لبقعة معينة، كانت هُناك بعض الشياطين والأشباح الذين جاهدوا ألا يُسحبوا هم أيضًا ولكن بلا فائدة، فعلت صرخات وحشية منهم وهم يطيرون بلا إرادة، فقالت إربيا للساحرات الأخريات في حماس: «لقد نجحت، لقد فعلتها حفيدة هيكاتي وهزمت الملعون»، فقالت لها إحدى الساحرات بفضول مختلط مع مشاعر السعادة: «ولكن إلى أين تذهب تلك السحب وشياطينها؟»، فنظرت لها إربيا وقالت: «سيعبرون جميعًا للعالم السفلي بلا رجعة عن طريق بوابة عالم النسيان ... منزل الملعونتين في السماء والأرض»، ثم جلست مرة أخرى على الأرض، ووضعت ذراعيها على رُكبتيها، ثم أغمضت عينيها وصبت تركيزها على تميمة وقالت: «اتبعي صوتي يا ابنتي، يا تميمة».

ثم خطت بيديها في الهواء خطان، اليمنى رسمت خط من الأسفل للأعلى، واليسرى من الأعلى للأسفل، ثم قالت بصوت قويّ: «سِت فينتوس مي إيانيووي، ماچيكاي!»

***

فجأة وبدون سابق إنذار، توقف الجميع تباعًا عن القتل والنهب، نظر الرجال لبعضهم البعض والدماء تُلطخ ملابسهم متسائلين عما حدث لهم، توقفت الصرخات الجنونية للسيدات اللائي شهدن على أحداث القتل البشعة، لم يستمر بجال الشُرطة في مقاومة أو مهاجمة أي شخص نظرًا لحالة الارتباك التي بدت على وجوه الجميع، فلم يعُد للهجوم أيّ مبرر. ثم وقفوا جميعًا يتطلعون للرياح القوية التي جلبت معها سُحب رمادية وأدخنة قد أخذ المنزل يسحبها بداخله كمن يسترد ما كان بداخله من البداية، أما بداخل المنزل المُظلم، فظهرت إربيا من العدم، وهي جالسة في وضع القُرفصاء. ثم فرقعت بأصبعيها السبابة والوسطى، وقالت: «تينيبراي، ديفيسياري» فاشتعلت دائرة من اللهب الأبيض من حولها لتنير ظلمة المكان، وضعت إربيا يديها على الأرضية الترابية العفنة، وقالت: «أنا هنا يا ابنتي، اتبعي صوتي يا تميمة، اتبعي الضياء بداخلك، انطلقي في رحلة العودة من الظلام للنور»، فارتجت أرضية المنزل بعد ثوانٍ، ثم خرجت يد بيضاء، موشومة بوشم أم الساحرات على معصمها، فأمسكت بها إربيا ووقفت لتشدها للأعلى، فخرجت تميمة وهي تسعل بشدة، ثم تنفست الصعداء وقالت: «أظن أنني نجحت يا سيدتي». احتضنتها إربيا بشوق كمن كادت أن تفقد ابنتها، ثم قالت لها بسعادة: «نعم، لقد نجحتِ يا

ابنتي...لقد نجحتِ».

راقبت الساحرتان الأهالي وهم يساعدون بعضهم البعض في تلك الأزمة التي كادت أن تفتك بهم جميعًا، كانتا معلقتين في الهواء بقواهما السحرية، تداعب نسمات الهواء جسديهما، فتنفست تميمة الصعداء وقالت وهي تنظُر لـ إربيا: «سنواجه مرة أخرى ... أليس كذلك؟»، فقالت لها إربيا «بالتأكيد، سيجد ملك الظلام طريقة للعودة مرة أخرى، رغم أنني قد ألقيت تعويذة حماية على المنطقة من الخارج. الشر يا ابنتي لن يتوقف بعد معركة صغيرة كهذه، سنظل نُحارب حتى نهاية الزمان، ولكن المرة القادمة، سنكون على أتم الاستعداد ... ولن يقهرنا أحد ... باتحادنا، ووجودك بيننا لقيادتنا»، «وماذا عنهم، ما مصيرهم؟» قالتها تميمة وهي تنظُر للأمهات اللائي كن يحتضن أطفالهن، فقالت لها إربيا: «لن نتخلى عنهم أبدًا، وسنحارب من أجلهم ما حيينا ... مهمتهم الوحيدة هي مقاومة مغريات الشيطان وأعوانه، والتمسك بالخير الذي فُطِروا عليه ... وليتذكروا، أن وعود الشيطانة المُحاكة بخيوط ذهبية من نعيم الجنة، ما هي إلا شبكة ملعونة ستسقط بهم لأعماق الجحيم»

هزت تميمة رأسها، ثم أمسكت بيد إربيا، فتحولت الأخيرة إلى بومة بيضاء، بينما تحولت تميمة لغراب ملون بالأبيض

والاسود، وطارتا معًا بأقصى سُرعة، واختفيا في لمح البصر.

وفي الأسفل، كان هناك طفل صغير يجلس على أحد الأرصفة، يعد بحماس العملات المعدنية التي كان يجمعها، فلفت انتباهه تلك الريشة الملونة بالأبيض والأسود التي سقطت أمامه على الأرض، فأمسك بها في سعادة، وإذ بها تلمع في يده لون فضي، فشعر بذعر وألقى بها على الفور، وركض بعيدًا عنها، تاركًا إياها في المكان نفسه على الأرض، قبل أن تختفي في غضون ثوانٍ قليلة.

***

النهاية

وقف ينظُرُ لذلك المنزل صغير الحجم، متعجبًا من كم الأحداث البشعة التي حدثت فيه، قفزت التساؤلات لرأسه عن كيفية ارتكاب أختين من -المُفترض أنهما من نسل حواء الرقيقة التي خُلقت من ضلع سيدنا آدم- لتلك الجرائم بتلك الطُرُق الأكثر جنونًا على الإطلاق؟ ظل يتفحص الجُدران والشقوق التي كانت تزينهم، رغم قدم المنزل لكنه قد شعرَ برائحة الأموات تتسلل له من بين تلك الشقوق. كان للمنزل هيبة عظيمة، وكان وجوده في حي اللبان رُعب مُفزع لقاطنيه الذين لم يتحملوا وجوده رغم كُل تلك السنوات.

«كف عن الحملقة في ذلك المنزل العفن وتناول إفطارك يا باشمهندس»، قالها أحد العُمال الذي هم بالتهام الفول والبصل في نهم شديد، فنظر إليه المهندس أحمد وابتسم، ثم قال له: «أشعر برغبة عارمة لدخوله يا عبدالرحمن، أريد أن أراه من الداخل بشدة»، شعر عبد الرحمن بوقوف اللقمة في بلعومه ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، سأتعامل أنا والرجال من الخارج، أقسم بقبر أمي ألا أدخله أبـ..»، صرخ فيه المهندس أحمد ثم قال: «كف عن الثرثرة يا عبدالرحمن، أنا من قال أنه سيدخل، لم أطلب منك أن تفعلها أيها الأحمق المتسرع، ثم عار عليك أن تكون في ذلك العُمر وتخاف من

منزل قديم لا يحوي إلا بعض الحشرات»، نهض الشاب وقال لرئيسه: «يا باشمهندس استعذ بالله، أهل المنزل ينادونك لتدخل، لا تستمتع لهم واجلس لتناول إفطارك بالله عليك»، ثم جلس وهو يتمتم: «عدي اليوم الأسود ده على خير يا رب»، فجلس أحمد بجانبه ثم بدأ في تناول الطعام، بينما كانت عيناه معلقتين على المنزل. نظر له الشيخ عبدالصمد، رئيس العمال وهو يتجرع المياه الباردة، ثم قال له: «منزل ملعون، يحوي الكثير من الأسرار التي لم يكشفها أي شخص حتى الآن»، فنظر له أحمد ثم قال بابتسامة: «لا أصدق في تلك الأمور يا شيخ، أعلم جيدًا لماذا يهابه الجميع ... ولكن ما يشغل تفكيري هو اقتناع الجميع بأن الأختين كانتا تعملان بالسحر والشعوذة، وأنهما استعانتا بالجن في جرائمهما»، فابتسم عبدالصمد وقال: «أنا أوافقك بأنه لم يجد أي شخص ما يثبت ذلك يا ولدي، ولكن على الأرجح هذا ما حدث ... الحكايات الشعبية القديمة تقول أنهما كانتا تعبدان الشيطان والعياذ بالله، وأنه وخدامه هم من ساعدوهما ... فسر لي كيف لامرأة أن تقبل دخول منزل لسيدتين لا تعرفهن مقابل عرض مغري لبيع بعض الأقمشة؟ الناس هنا ودودون للغاية بحكم الجيرة والعِشرة، ولكن هذا لم يمنع التحفظ وخشية كلام الناس من فعل أمر كهذا ... فبالتأكيد كان يوجد سبب آخر غير طبيعي لسهولة استدراجهن ... أليس كذلك؟».

اقتنع أحمد بكلمات الرجل العجوز، فزاد فضوله أكثر وأكثر وسأله: «سمعت أيضًا أن تلك المنطقة والمناطق المحيطة تأثرت بذلك المنزل، وظهرت كائنات شيطانية تفزع المارة في الليل، هل لديك معلومات عن هذ الكلام يا شيخ؟»، هز الرجل العجوز رأسه وقال: « قيل أنه قد هوجم البعض من شياطين مُفزعة، ومن استطاع الهرب منهم قد أخبر باقي الناس عما حدث؛ فهناك مثلًا عروس الليل الحزينة التي تظهر لك وهي ترتدي فستان الزفاف، وتطلب منك المساعدة، ثم تتحول لشيطانة مُرعبة تلتهمك على الفور ... هُناك أيضًا طفل المقابر الذي ظهر لبعض الناس في منطقة مقابر العمود، وطلب منهم جنيهًا ليشتري الطعام، هناك من أعطاه ونجا بحياته غير مُدرك لطبيعة الطفل، وهناك من تجاهله، فتحول الطفل لمارد طويل القامة، وشرع في التهام ضحيته على الفور ... كلها قصص تداولها البعض، منهم من صدقها، ومنهم من ضحك من مدى سذاجتها.

فابتسم أحمد وقال للرجل: «وماذا عنك؟ هل تصدق ما تقول، أم تضحك في سرك على سذاجة تلك القصص؟»، فتنهد الرجل العجوز، وقال: «الشر موجود يا ولدي، والشيطان وأعوانه حولنا في كُل مكان، إن كُنت تريد أن تصدق ... فصدق عن بُعد مثلما صدقت بوجود السماوات السبع، والجنة والنار، دون أن تتمكن زيارتها، ولك العُمر

الطويل بإذن الله. ولكن تذكر أن عدم تصديقك لتلك القصص الخرافية بالنسبة لك، لن يحصنك من هجمات الجن والشياطين والعياذ بالله.»

لم يدرِ كيف له أن يرتجف وهو المهندس المُتعلم غير المُصدق لشيء سوى العلم، ربما لكلمات الرجل الهادئة وصوته العميق المُخيف. تحدث عبدالرحمن في فزع وقال: «أستحلفكم بالله أن تتحدثوا عن أي شيء آخر»، فضحك العجوز وصفعه براحة يده على ظهره، وأكمل الجميع الطعام ... بينما كان أحمد مشغولًا بالمنزل.

وبعد الشاي والسجائر، حان وقت العمل؛ تسلم الجميع قائمة مهامه وتجمع العمال ووقف الشيخ عبدالصمد بينهم ليحدثهم عن خطة عمل اليوم، بعدما تسلم الأوامر من المهندس أحمد، الذي كان يدخن سيجارته المحترق نصفها هباءً بين أصابعه، من شدة تركيزه مع المنزل. ثم ألقى بقيتها في الأرض، ودعسها بقدمه وتوجه إلى المنزل، ونظر إلى مكان بوابة الدخول، المسدودة بالكامل بجدار حجريّ، مكتوب عليه بالطلاء الأبيض علامة «إكس» كبيرة، ثم أمسك بمطرقة ضخمة كانت مستندة إلى الجدار بجانب المنزل، ورفعها في الهواء، ثم شرع يضرب جدار المدخل بها بقوة.

نظر له عبدالرحمن في خوف، ثم قال له: «ماذا تفعل يا

باشمهندس، بالله عليك كف عما تفعله!»، بينما ظل أحمد يضرب الجدار عدة مرات، حتى سقطت الحجارة كلها على الأرض، كاشفة عن مدخل مُظلم، فسعل أحمد من رائحة العفونة التي انتهزت الفرصة للخروج، ثم أخرج قداحته وأشعلها، وابتلعه الظلام.

***

وقف العُمال بالخارج يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم، مترقبين في تأهُب خروج أحمد الذي استغرق دقائق عدة بالداخل، دون أن يستجيب لندائهم المستمر باسمه. «لقد استحوذوا عليه يا شيخ، لن يخرُج!» قالها عبدالرحمن وهو يرتجف، فقال له عبدالصمد «اهدأ يا ولدي، هو فقط يستكشف المكان وسيخرج...لعنة الله على الفضول»

***

كافح أن يحافظ على لهيب القداحة المتراقص، ظل ينظُر يمينًا ويسارًا بلا هدف، مجرد فضول قاتل في استكشاف المكان، مقعد قديم ملطخ بسائل أسود، أرض ترابية بها فجوة تتسع لشخص واحد، أما عنه هو، فقد سيطرت عليه مادة الدوبامين، واستعرت نيران الإثارة فيه، وانتصبت شعيرات جسده من الحماس. كان يقف فوق الفجوة الصغيرة يلتفت يمينًا ويسارًا، ولكن تلك المرة كانت بحثًا عن

الباب الذي قد اختفى فجأة، كان مقتنعًا تمامًا أن الحماس هو السبب، وهيبة المكان هي ما سيطرت عليه، حرك قدميه من مكانهما، ولكنهما لم يتحركا، عملية شد وجذب رهيبة بينه وبين شيء قد أمسك به، يدان يكبلان حركته تمامًا، فتعالت دقات قلبه، واقترب من الفجوة، ليجد رأسًا ذا شعر أسود طويل للغاية، لدرجة أن شعره قد انتشر في أرضية الغرفة بالكامل، ثم نظرت له تلك العينان السوداوان اللتان زينهما فوق الجبين وشم لنجم خماسية معكوسة.

صرخ، صرخ بكل قوته، ولكن لم يكن لصوته أي مسمع، كان يصرخ بلا صوت في الحقيقة، ثم تركت ساقيه، وبدأت في الخروج من الفجوة فتاة عارية، يلطخ جسدها مادة سوداء كالشحم، وقفت أمامه مباشرَة، تنظر له بوجهها الممتلئ بشقوق مُفزعة كجدران المنزل، ارتعش صوته حين سألها: «ممم...من أنتِ؟»، فقالت له بصوت مُفزع: «أنا ابنة ذلك المنزل، أنا السلاح الأخير، من ستجلب الرُعب لكم جميعًا»، ثم أمسكت برقبته وقالت: «إيجو إيدوكسي تي ميليتيام، أرك-أنچيلوس»، فخرج من فمها دخان أسود كثيف، انطلق ليخترق فمه وأذنيه، فأصدر صوتًا كمن يختنق حيًا، وابيضت عيناه تمامًا، وظل جسده يرتعش بينما كانت الشيطانة تمسك برقبته، والدخان يخترق جسده بكثافة.

«يا باشمهندس أحمد، هل تسمعنا؟»، ظل الرجال ينادونه بكُل قوة لكثير من الوقت، وحين كفوا عن النداء، وجدوا يدًا تمسك بإطار المدخل، ثم ظهرت رأس أحمد، فتنفس الرجال الصعداء وهم يستقبلون خروجه، وقبل أن يسألوه عن سبب تأخره، خرج إليهم شخص عاري الجسد، أحمر البشرة، به بقايا من ملامح المهندس أحمد، عيناه حمراوان بالكامل كما أنها قد تشبعت بالدماء، فصرخ الجميع، وتراجعوا للخلف وهم ينظرون إلى تلك الشيطانة التي خرجت وراءه وهي تطلق من يديها أشعة سوداء تصيب بها كُل الحاضرين، ليسقطوا على الأرض، ثم ينهضون مرة أخرى وهم متحولون تمامًا لمسوخ مٌفزعة.

ظلت تُطلق تعاويذها الشيطانية، وتحيل كُل بشري إلى وحش كاسر. وبعد عدة تحولات مُفزعة، قامت الوحوش بمهاجمة كُل الأهالي واحدًا تلو الأخر، لتتحول المنطقة بالكامل لبحر من الدماء. نظرت الشيطانة للكائن الأحمر وقالت له «لتحصُد أرواحهم يا سيدي، تغذى لتعُد كما كنت»، فاقترب الكائن من بعض الرجال الذين حاولوا الهرب، وألصق فمه بظهورهم، وامتص أرواحهم منهم، لتسقط أجسادهم أرضًا، جافة كجذوع الأشجار الميتة.

نظر الشيخ عبد الصمد المرتعد للشيطانة وهو يبكي، ثم

قال لها «ممـ...من أنتِ؟»، فابتسمت الخبيثة وهي تعتصر رقبته بيدها، ثم قالت «كانوا يدعونني... بديعة!»

***